

نُخَبُ المُلَح

جمعها الاب يوحنا بلو والاب اغوستينوس روده

من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

١

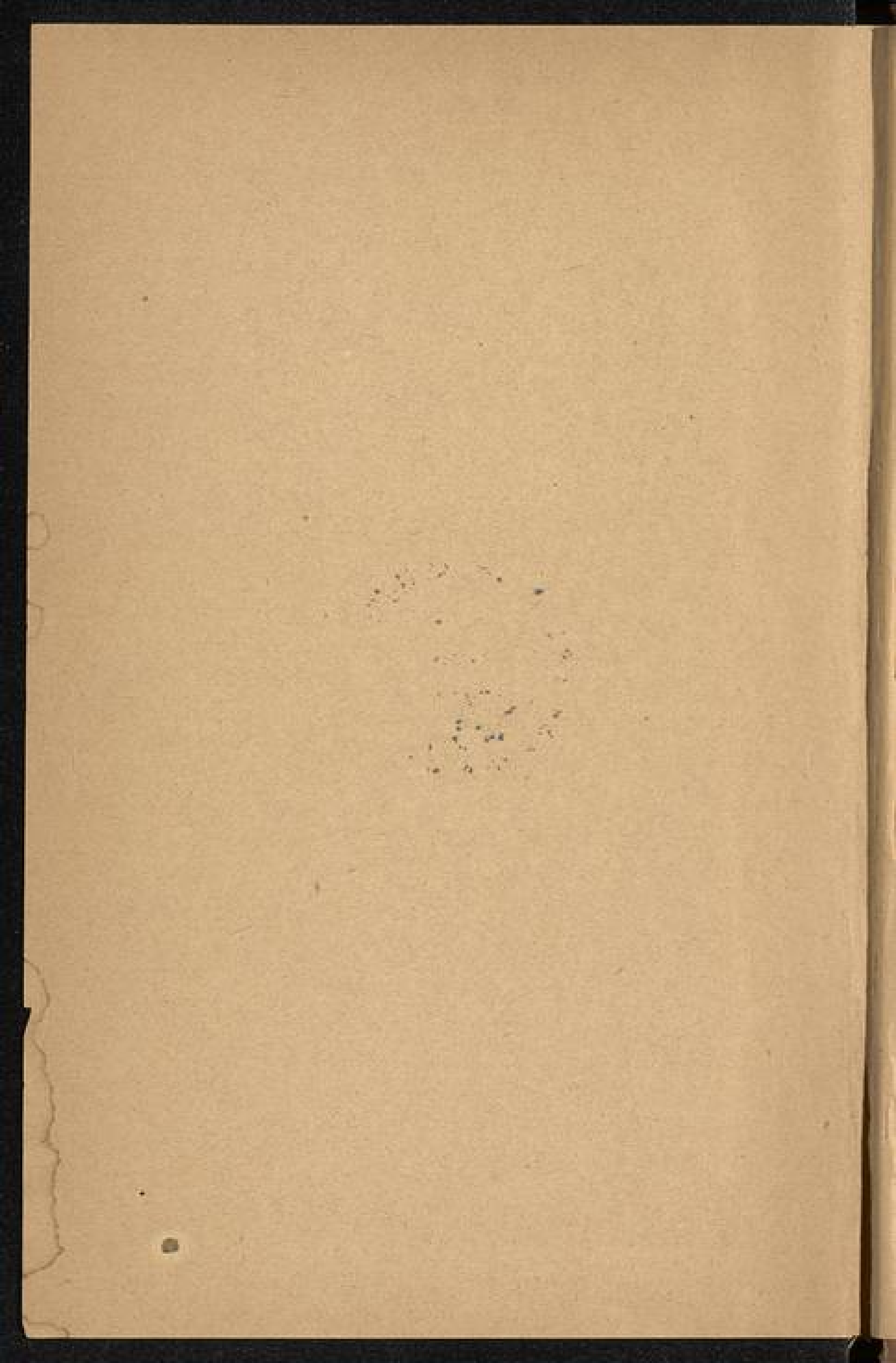
وَهُوَ يَشتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدبِيَّةٍ

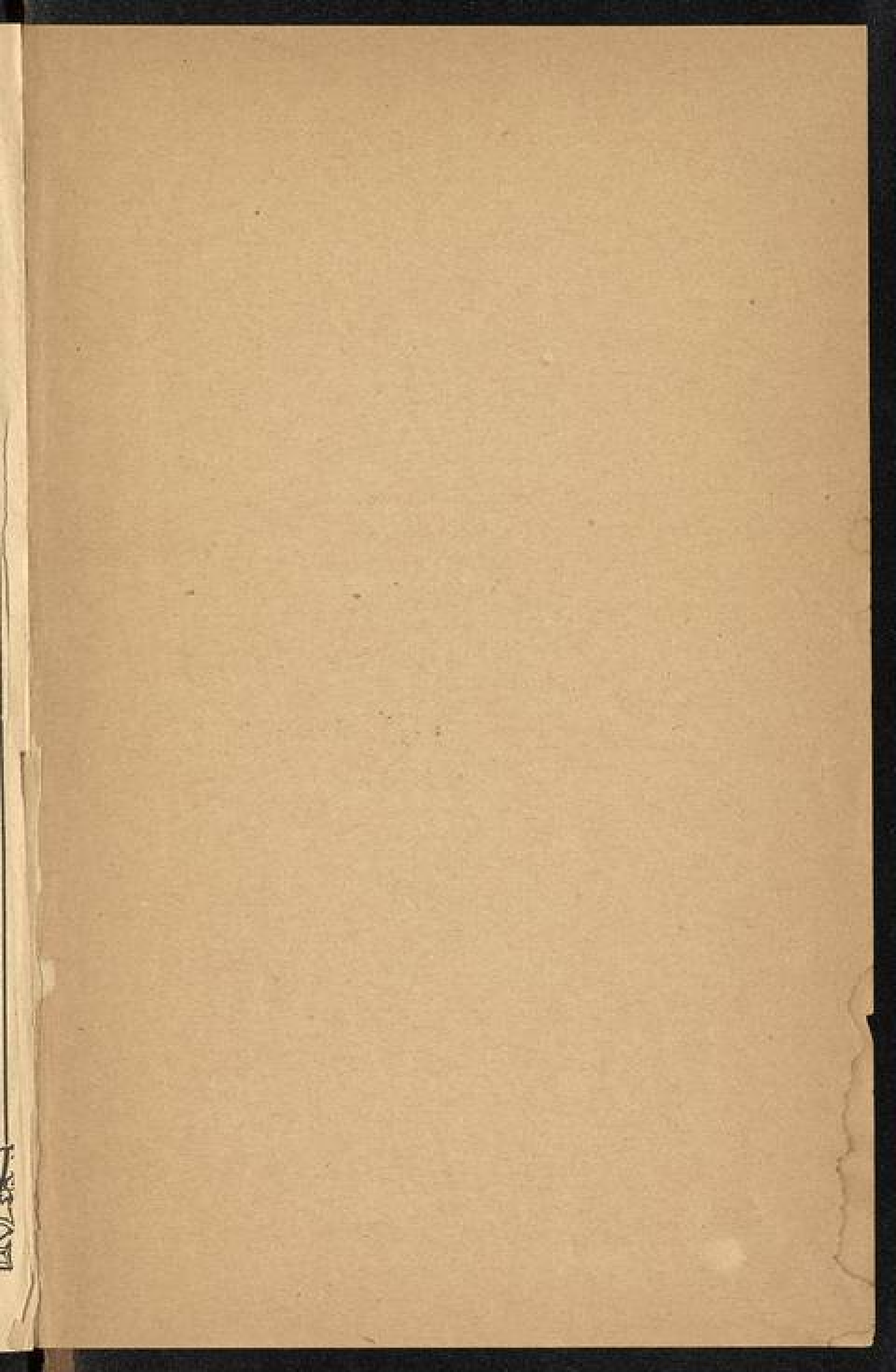
المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

Elsie Jeffery

Mon. 11 a.m.









جمعها الاب يوحنا بلو والاب اغوستينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

القسم الاول

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدَبِيَّةٍ



المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
في بيروت سنة ١٩١٣
برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ٣٩

مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ ٱلْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَثَوْرَانِ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى ثَوْرَيْنِ . فَٱجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَانِهِ بِقُرُونِهِمَا . وَلَا يُمَكِّنَانِهِ مِنَ ٱلدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَٱنْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا وَخَدَعَهُ وَوَعَدَهُ أَلَّا يُعَارِضَهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا ٱفْتَرَقَا ٱفْتَرَسَهُمَا جَمِيعًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ ، إِذَا ٱتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يُمَكَّنُ مِنْهُمَا عَدُوٌّ . فَإِذَا ٱفْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ . فَنَظَرَ خَيَالَهُ فِي ٱلْمَاءِ فَحَزِنَ لِدِقَّةِ قَوَائِمِهِ وَسُرَّ وَٱبْتَهَجَ لِعِظَمِ قُرُونِهِ وَكِبَرِهَا . وَفِي ٱلْحَالِ خَرَجَ عَلَيْهِ ٱلصَّيَّادُونَ فَٱنْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا وَهُوَ فِي ٱلسَّهْلِ فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ فِي ٱلْجَبَلِ وَعَبَرَ بَيْنَ ٱلشَّجَرِ لَحِقَهُ ٱلصَّيَّادُونَ وَقَتَلُوهُ . فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : ٱلْوَيْلُ لِي أَنَا ٱلْمِسْكِينَ . ٱلَّذِي ٱزْدَرَيْتُهُ هُوَ خَلَّصَنِي . وَٱلَّذِي رَجَوْتُهُ أَهْلَكَنِي

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ

أَسَدٌ شَاخَ وَضَعُفَ . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْوُحُوشِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِنَفْسِهِ فِي ٱلْمَعِيشَةِ . فَتَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي

بَعضِ الْمَغَايِرِ . وكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ يَعُودُهُ افْتَرَسَهُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَأَكَلَهُ . وَأَتَى الثَّعلَبُ . ووَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا عَلَيهِ قَائِلًا لَهُ : كَيفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ الوُحُوشِ . فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : مَالَكَ لَا تَدخُلُ يَا أَبَا الْحُصَينِ : فَقَالَ لَهُ الثَّعلَبُ : يَا سَيِّدُ . قَدْ كُنتُ عَوَّلتُ عَلَى هٰذَا غَيرَ أَنِّي أَرَى عِندَكَ آثَارَ أَقدَامِ كَثِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا . وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

مَغزَاهُ

أَنَّهُ يَنبَغِي لِلإِنسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمرًا . إِلَّا بَعدَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُمَيِّزَهُ

أَسَدٌ وَإِنسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنسَانٌ اصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى الطَّرِيقِ . فَجَعَلَا يَتَشَاجَرَانِ بِالْكَلَامِ عَلَى الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَأسِ . فَجَعَلَ الأَسَدُ يُطنِبُ فِي شِدَّتِهِ وَبَأسِهِ . فَنَظَرَ الإِنسَانُ عَلَى حَائِطٍ صُورَةَ رَجُلٍ وَهُوَ يَخنُقُ أَسَدًا . فَضَحِكَ الإِنسَانُ . فَقَالَ لَهُ الأَسَدُ : لَوْ أَنَّ السِّبَاعَ مُصَوِّرُونَ مِثلَ بَنِي آدَمَ . لَمَا قَدَرَ الإِنسَانُ يَخنُقُ سَبُعًا بَلْ كَانَ السَّبُعُ يَخنُقُ الإِنسَانَ

مَغزَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكَّى الإِنسَانُ بِشَهَادَةِ أَهلِ بَيتِهِ

---

(١) كثيرٍ نعت لمحذوف يُقدَّر بحسب المقام والمراد هنا خلق كثير

غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ ٱلصَّيَّادِينَ ٱنْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ ٱلْأَسَدُ فَٱفْتَرَسَهُ فِيهَا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : ٱلْوَيْلُ لِي أَنَا ٱلشَّقِيَّ لِأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ ٱلنَّاسِ . فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يَفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقَعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ . وَكَانَ ٱلْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ . ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ ٱلطُّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ . فَنَظَرَهُ ٱلثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ أَسَأْتَ يَا أَخِي . إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ

مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ ٱلطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا دُونَ تَرَوٍّ فِيهِ . لَمْ يَأْمَنْ غَائِلَتَهُ

أَرْنَبٌ وَلَبُؤَةٌ

أَرْنَبٌ مَرَّةً ٱجْتَازَتْ بِلَبُؤَةٍ وَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أُنْتِجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَأَنْتِ إِنَّمَا تَلِدِينَ فِي عُمْرِكِ كُلِّهِ فَذًّا أَوْ زَوًّا : فَقَالَتْ لَهَا ٱللَّبُؤَةُ : صَدَقْتِ غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبُعٌ

مَغْزَاهُ

لَيْسَ ٱلِاعْتِمَادُ عَلَى ٱلْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى ٱلْمُفِيدِ

إمرأة ودجاجة

إمرأةٌ كانَ لها دجاجةٌ تبيضُ في كلِّ يومٍ بيضةَ فضةٍ. فقالتْ في نفسها: إنْ أنا كثّرتُ علفها باضتْ بيضتينِ. فلما فعلتْ ذلكَ انشقتْ حوصلةُ الدجاجةِ فماتتْ

مغزاهُ

أنَّ كثيرًا بسببِ طمعهمْ يخسرونَ رأسَ مالهمْ

بعوضةٌ وثورٌ

بعوضةٌ يعني ناموسةً وقفتْ على قرنِ ثورٍ وظنّتْ أنها ثقلتْ عليهِ. فقالتْ لهُ: إنْ كنتُ قدْ بهظتُكَ فأعلمني حتى أطيرَ عنكَ: فقالَ لها الثورُ: يا هذهِ. ما شعرتُ بنزولكِ حتى يُحيني فراقكِ

مغزاهُ

منْ يطلبُ أنْ يجعلَ لهُ ذكرًا ومجدًا وهوَ حقيرٌ يلقى الهوانَ

بستانيٌّ

بستانيٌّ كانَ يومًا ينقي البقلَ. فقيلَ لهُ: لماذا البقلُ البريُّ بهيُّ المنظرِ وهوَ غيرُ مخدومٍ ومنبتٍ: فقالَ: لأنهُ تربيهِ أمهُ. وغيرهُ تربيهِ ربيبتهُ

مغزاهُ

أنَّ تربيةَ الأمِّ أكثرُ تأثيرًا في ولدها منْ غيرها

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيمَا هُوَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ إِذْ أَنْتَجَتْ لَهُ مُهْرًا. فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْمَشْيَ. وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِي هٰهُنَا. فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي مَعَكَ وَرَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى ظَهْرِي وَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَرْفُقَ بِمَنْ يَسْتَغِيثُونَنَا وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ

إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَنْزًا وَخِنْزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا ٱلْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ ٱلْجَمِيعَ. أَمَّا ٱلْكَبْشُ وَٱلْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ ٱلْبَهِيمَةَ. وَأَمَّا ٱلْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرِضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْسَانُ: يَا شَرَّ ٱلْوُحُوشِ. مَالِي أَرَى ٱلْكَبْشَ وَٱلْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ. وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ: فَقَالَ لَهُ ٱلْخِنْزِيرُ: كُلٌّ يَعْرِفُ شَأْنَهُ. أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ ٱلْكَبْشَ لِصُوفِهِ. وَٱلْعَنْزَ لِلَبَنِهَا. وَأَنَا ٱلشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَبَنَ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وُصُولِي إِلَى ٱلْمَدِينَةِ إِلَّا إِرْسَالِي إِلَى ٱلْمَسْلَخِ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلَّذِينَ يَغْرَقُونَ فِي ٱلْخَطَايَا ٱلَّتِي قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ

سُلَحْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ تَسَابَقَا مَرَّةً . وَجَعَلَا ٱلْحَدَّ بَيْنَهُمَا ٱلْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ إِلَيْهِ . أَمَّا ٱلْأَرْنَبُ فَلِمَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ ٱلْخِفَّةِ فِي ٱلْجَرْيِ تَوَانَى فِي ٱلطَّرِيقِ وَنَامَ . وَأَمَّا ٱلسُّلَحْفَاةُ فَلِعِلْمِهَا بِثِقَلِ حَرَكَتِهَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ وَلَا تَتَوَانَى فِي ٱلْمَسِيرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى ٱلْجَبَلِ قَبْلَهُ . وَعِنْدَمَا ٱسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ . وَجَدَهَا قَدْ سَبَقَتْ فَنَدِمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ ٱلنَّدَامَةُ

مَغْزَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَيُغْفِلَ أَمْرَهُ . فَيَفْشَلَ وَيَكُونَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ

ذِئْبٌ

ذِئْبٌ مَرَّةً ٱخْتَطَفَ خِنَّوْصًا . وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لَقِيَهُ ٱلْأَسَدُ فَأَخَذَهُ مِنْهُ . فَقَالَ ٱلذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ : لَا غَرْوَ أَنْ يَكُونَ ٱلْغَاصِبُ مَغْصُوبًا . فَإِنَّ ٱلْبَغْيَ مَصْرَعُهُ وَخِيمٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَا يُكْتَسَبُ مِنَ ٱلظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ . وَإِنْ دَامَ فَلَا يَتَهَنَّأُ بِهِ . كَمَا وَرَدَ : مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَهَاوِشَ . أَذْهَبَهُ ٱللّٰهُ فِي نَهَابِرَ

ٱلْعَوْسَجُ

ٱلْعَوْسَجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِيِّ : لَوْ أَنَّ لِي مَنْ يَهْتَمُّ بِي وَيَنْصِبُنِي وَيَسْقِينِي وَيَخْدُمُنِي . لَٱشْتَهَتْنِي ٱلْمُلُوكُ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَثَمَرِي

فأخذه وغرسه في أجود محل في البستان . وصار يسقيه كل يوم دفعتين . فنشأ وقوي . وتفرعت أغصانه على جميع الشجر . التي حوله وأصلت عروقه في الأرض . حتى امتلأ البستان منه ومن كثرة شوكه . فلم يعد أحد يستطيع أن يتفرج فيه

مغزاه

من يجاور إنسان سوء فإنه كلما أكرمته كثرت شروره وتمرد كما قال الشاعر : وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

صبي

صبي رمى بنفسه مرة في نهر . ولم يكن يحسن السباحة . فأشرف على الغرق . فاستعان برجل عابر في الطريق . فأقبل إليه وجعل يلومه على نزوله إلى النهر . فقال الصبي : يا هذا . خلصني أولا من الموت ثم لمني

مغزاه

إذا وقع صديقك في شدة نجه وخلصه أولا ثم لمه

صبي وعقرب

صبي مرة كان يصيد الجراد . فنظر عقربا فظنها جرادة . فمد يده ليأخذها ثم تباعد عنها . فقالت له : لو أنك قبضتني بيدك لتخليت عن صيد الجراد

مَغْزَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ . وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ

حَمَامَةٌ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ . فَأَقْبَلَتْ تَحُومُ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ ٱلْمَاءِ . فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةَ صَحِيفَةٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً . فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ فَٱنْشَقَّتْ حَوْصَلَتُهَا . فَقَالَتْ : ٱلْوَيْلُ لِي . فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوَّ فِي ٱلصَّحِيحِ وَٱلْمُفْتَعَلِ . وَأُفَرِّقْ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ . حَتَّى جَلَبْتُ ٱلْمَنِيَّةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلْمُسْتَعْجِلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ ٱلْحَزْمَ فِي ٱلتَّأَنِّي

حَدَّادٌ وَكَلْبٌ

حَدَّادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَأْبُهُ ٱلتَّوَانِي وَٱلرُّقَادُ مَا دَامَ ٱلْحَدَّادُ عَامِلًا . فَإِذَا رَفَعَ ٱلْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا ٱسْتَيْقَظَ ٱلْكَلْبُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحَدَّادُ : يَا كَلْبَ ٱلسُّوءِ . مَالِي أَرَى صَوْتَ ٱلْمَطَارِقِ ٱلَّتِي تُزَعْزِعُ ٱلْأَرْضَ لَا يُنَبِّهُكَ . وَحِسَّ ٱلْمَضْغِ ٱلْخَفِيَّ تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلْغَبِيَّ يَتَقَاعَسُ عَنِ ٱلْوَعْظِ . وَإِذَا سَمِعَ ٱللَّهْوَ ٱنْتَصَبَ إِلَيْهِ

أَلْبَطْنُ وَٱلرِّجْلَانِ

أَلْبَطْنُ وَٱلرِّجْلَانِ تَخَاصَمُوا عَلَى أَيِّهِمْ يَحْمِلُ ٱلْجِسْمَ . فَقَالَتْ ٱلرِّجْلَانِ : نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ : فَقَالَ ٱلْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أَغْذِ مِنَ ٱلطَّعَامِ . فَلَا تَسْتَطِيعَانِ ٱلْمَشْيَ . فَضْلًا عَنْ أَنْ تُقِلَّا شَيْئًا

مَغْزَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّ أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلْ

أَلشَّمْسُ وَٱلرِّيحُ

أَلشَّمْسُ وَٱلرِّيحُ تَخَاصَمَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ ٱلْإِنْسَانَ ثِيَابَهُ . فَاشْتَدَّتِ ٱلرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفَتْ جِدًّا . فَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ كُلَّمَا تَزَايَدَ هُبُوبُهَا ضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَٱلْتَفَّ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَلَمَّا ٱرْتَفَعَ ٱلنَّهَارُ وَٱشْتَدَّ ٱلْحَرُّ . خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ٱلِاتِّضَاعُ وَدَمَاثَةُ ٱلْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانِ

دِيكَانِ كَانَا يَتَقَاتَلَانِ عَلَى قُمْقُورٍ . فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا ٱلْآخَرَ . أَمَّا ٱلْمَغْلُوبُ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَأْوَاهُ . وَأَمَّا ٱلْغَالِبُ فَصَعِدَ فَوْقَ ٱلسَّطْحِ . وَجَعَلَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ وَيَصِيحُ وَيَفْتَخِرُ . فَبَصُرَ بِهِ بَعْضُ ٱلْجَوَارِحِ فَٱنْقَضَّ إِلَيْهِ وَٱخْتَطَفَهُ

مَغْزَاهُ

أَنَّ ٱلِافْتِخَارَ بِالْقُوَّةِ رُبَّمَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذِئَابٌ

ذِئَابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ. فَٱتَّفَقُوا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ ٱلْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى ٱلْجُلُودِ. فَمِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبُوا ٱنْفَلَقُوا. وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرَبَهُمْ (١)

مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ ٱلرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ

أَلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ

أَلْوَزُّ وَٱلْخُطَّافُ تَشَارَكَا فِي ٱلْمَعِيشَةِ. فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ. فَمَرَّ بِهِمَا ٱلصَّيَّادُونَ يَوْمًا فَمَا كَانَ مِنَ ٱلْخُطَّافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا ٱلْوَزُّ فَأُدْرِكَ وَذُبِحَ

مَغْزَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ ٱلسُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءُ كَوْكَبٍ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي ٱلْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا. فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ.

---

(١) أضمر الذئاب بضمير العقلاء لانه نزّلها منزلتهم اذ هي كنايةٌ عنهم وقس على ذلك ما اشبههُ

فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدِ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ سَمَكَةً . فَظَنَّتْهَا مِثْلَ ٱلَّذِي رَأَتْهُ بِٱلْأَمْسِ . فَتَرَكَتْهَا

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ . وَلَا يُوقِعَ أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ ٱلْآخَرِ

نُخَبٌ
مِنَ ٱلْكِتَابِ ٱلْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ
حِكَايَةُ ٱلْمَلِكِ جَلِيعَادَ وَٱبْنِهِ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانِ وَسَالِفِ ٱلْعَصْرِ وَٱلْأَوَانِ مَلِكٌ فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ . وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ ٱلْقَامَةِ . حَسَنَ ٱلصُّورَةِ . حَسَنَ ٱلْخُلُقِ كَرِيمَ ٱلطَّبَائِعِ مُحْسِنًا لِلْفُقَرَاءِ مُحِبًّا لِلرَّعِيَّةِ وَلِجَمِيعِ أَهْلِ دَوْلَتِهِ . وَكَانَ ٱسْمُهُ جَلِيعَادَ . وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ ٱثْنَانِ وَسَبْعُونَ مَلِكًا . وَلِبِلَادِهِ ثَلْثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ قَاضِيًا . وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشَرَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ رَئِيسًا . وَكَانَ أَكْبَرُ وُزَرَائِهِ شَخْصًا يُقَالُ لَهُ شِمَاسٌ . وَكَانَ عُمْرُهُ ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ حَسَنَ ٱلْخُلُقِ وَٱلطِّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ . لَبِيبًا فِي جَوَابِهِ . حَاذِقًا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ . حَكِيمًا مُدَبِّرًا رَئِيسًا مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ . عَارِفًا بِكُلِّ حِكْمَةٍ

وأدب . وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل إليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة . ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية . وكان ذلك الملك عادلاً في مملكته حافظاً لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالإحسان . وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والأمان والطمأنينة . ومخففاً للخراج عن كامل الرعية . وكان محباً لهم كبيراً وصغيراً . ومعاملاً لهم بالإحسان إليهم والشفقة عليهم . وأتى بحسن سيرته بينهم بما لم يأت به أحد قبله . ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى ولداً . فشق ذلك عليه وعلى أهل مملكته . فاتفق أن الملك كان مضطجعاً في ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر في عاقبة أمر مملكته . ثم غلب عليه النوم فرأى في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة وإذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة وأحرقت جميع ما كان حولها من الأشجار . فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعاً واستدعى أحد غلمانه وقال له : اذهب بسرعة وائتني بشماس الوزير عاجلاً : فذهب الغلام إلى شماس وقال له : إن الملك يدعوك في هذه الساعة لأنه انتبه من نومه مرعوباً . فأرسلني إليك لتحضر عنده عاجلاً : فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه إلى الملك ودخل عليه . فرآه قاعداً على فراشه . فسجد بين يديه داعياً له بدوام العز والنعم . وقال : لا أحزنك الله أيها الملك ما الذي أقلقك في هذه الليلة وما سبب

طَلَبِكَ إِيَّايَ بِسُرْعَةٍ: فَأَذِنَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِٱلْجُلُوسِ فَجَلَسَ . وَصَارَ يَقُصُّ عَلَيْهِ مَا رَأَى قَائِلًا: إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هٰذِهِ مَنَامًا أَهَالَنِي . وَهُوَ كَأَنِّي أَصُبُّ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ . وَإِذَا بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ ٱلْأَشْجَارِ . فَفَزِعْتُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَخَذَنِي ٱلرُّعْبُ فَٱنْتَبَهْتُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَأَرْسَلْتُ دَعَوْتُكَ لِكَثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْبِيرِكَ لِلرُّؤْيَا . وَلِمَا أَعْلَمُهُ مِنِ ٱتِّسَاعِ عِلْمِكَ وَغَزَارَةِ فَهْمِكَ

فَأَطْرَقَ شَمَّاسُ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : مَا رَأَيْتَ يَا شَمَّاسُ أَصْدُقْنِي ٱلْخَبَرَ وَلَا تُخْفِ عَنِّي شَيْئًا : فَأَجَابَهُ شَمَّاسُ وَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ : إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى خَوَّلَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَمْرُ هٰذِهِ ٱلرُّؤْيَا يَؤُولُ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَدًا ذَكَرًا . يَكُونُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ عَنْكَ مِنْ بَعْدِ طُولِ عُمْرِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أُحِبُّ تَفْسِيرَهُ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ : فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا . وَزَادَ سُرُورُهُ وَذَهَبَ عَنْهُ فَزَعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ . وَقَالَ: إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ هٰذَا ٱلْمَنَامِ . فَكَمِّلْ لِي تَأْوِيلَهُ إِذَا جَاءَ ٱلْوَقْتُ ٱلْمُوَافِقُ لِكَمَالِ تَأْوِيلِهِ . لِأَجْلِ أَنْ يَكْمُلَ فَرَحِي . لِأَنِّي لَا أَبْتَغِي بِذٰلِكَ غَيْرَ رِضَى ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : فَلَمَّا رَأَى شَمَّاسُ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ . ٱحْتَجَّ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَعَا ٱلْمَلِكُ بِٱلْمُنَجِّمِينَ وَجَمِيعِ ٱلْمُعَبِّرِينَ لِلْأَحْلَامِ ٱلَّذِينَ فِي

مملكته . فحضروا جميعاً بين يديه وقص عليهم ذلك المنام . وقال لهم : أريد منكم أن تخبروني بصحة تفسيره : فتقدم واحد منهم وأخذ إذناً من الملك بالكلام . فلما أذن له قال : أعلم أيها الملك أن وزيرك شماساً ليس بعاجز عن تفسير ذلك وإنما هو أحتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية . ولكن إذا أذنت لي بالكلام تكلمت . فقال له الملك : تكلم أيها المفسر بلا احتشام وأصدق في كلامك : فقال المفسر : أعلم أيها الملك . أنه يظهر منك غلام يكون وارثاً للملك عنك بعد طويل حياتك . ولكنه لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى . فقال الملك : وما حكاية السنور والفار

(حكاية السنور والفار)

فقال المفسر : أطال الله عمر الملك . إن السنور وهو القط . سرح ليلة من الليالي إلى شيء يفترسه في بعض الغيطان . فما وجد شيئاً . وضعف من شدة البرد والمطر الذي صار في تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء يفوز به . فبينما هو دائر على تلك الحالة . إذ رأى وكراً في أسفل شجرة فدنا منه وصار يتشمم ويدندن حتى أحس بأن داخل الوكر فاراً . فحاوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه . فلما أحس به الفار أعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي

يَسُدَّ بَابَ الْوَكْرِ عَلَيْهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَارَ السِّنَّوْرُ يُصَوِّتُ صَوْتًا ضَعِيفًا وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا أَخِي. وَأَنَا مُلْتَجِئٌ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِي رَحْمَةً بِأَنْ تُقِرَّنِي فِي وَكْرِكَ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ. لِأَنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ مِنْ كِبَرِ سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي. وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ. وَقَدْ تَوَغَّلْتُ فِي هٰذَا الْغَيْطِ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ. وَكَمْ مَرَّةٍ دَعَوْتُ بِالْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لِكَيْ أَسْتَرِيحَ وَهَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِيحٌ مِنَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ. وَأَسْأَلُكَ بِاللّٰهِ مِنْ صَدَقَتِكَ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتُدْخِلَنِي عِنْدَكَ وَتُؤْوِيَنِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ. لِأَنِّي غَرِيبٌ وَمِسْكِينٌ. وَقَدْ قِيلَ: مَنْ آوَى بِمَنْزِلِهِ غَرِيبًا مِسْكِينًا كَانَ مَأْوَاهُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ بِأَنْ تَكْسِبَ أَجْرِي. وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَبِيتَ عِنْدَكَ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ أَرُوحُ إِلَى حَالِ سَبِيلِي: فَلَمَّا سَمِعَ الْفَأْرُ كَلَامَ السِّنَّوْرِ. قَالَ لَهُ: كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِالطَّبْعِ وَمَعَاشُكَ مِنْ لَحْمِي. وَأَخَافُ أَنْ تَغْدُرَ بِي. لِأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ شِيمَتِكَ. لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ. وَقَدْ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي الْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى الْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى الْحَطَبِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَأْمِنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ: عَدَاوَةُ الطَّبْعِ كُلَّمَا ضَعُفَ صَاحِبُهَا كَانَتْ أَقْوَى: فَأَجَابَ السِّنَّوْرُ قَائِلًا بِأَخْمَدِ صَوْتٍ وَأَسْوَإِ حَالٍ: إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ. وَلَسْتُ أُنْكِرُ عَلَيْكَ. وَلٰكِنْ أَسْأَلُكَ الصَّفْحَ عَمَّا مَضَى مِنَ الْعَدَاوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: مَنْ صَفَحَ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ صَفَحَ خَالِقُهُ عَنْهُ. وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ عَدُوًّا

لكَ رهاً أنا اليومَ طالبٌ صداقتكَ . وقد قيل : إذا أردتَ أن يكونَ عدوُّكَ صديقاً لكَ فافعلْ معه خيراً . وأنا يا أخي أعطيكَ عهدَ اللهِ وميثاقَهُ أنّي لا أضرُّكَ أبداً . ومع هذا ليسَ لي قدرةٌ على ذلكَ ثقْ باللهِ وافعلْ خيراً . واقبلْ عهدي وميثاقي : فقالَ الفأرُ : كيفَ أقبلُ عهدَ مَن تأسَّستِ العداوةُ بيني وبينهُ . وعاداتُه أن يَغدرَ بي . ولو كانتِ العداوةُ بيننا على شيءٍ من الأشياءِ غيرَ الدمِ لهانَ عليَّ ذلكَ . ولكنّها عداوةٌ طبيعيةٌ بينَ الأرواحِ . وقد قيلَ من استأمنَ عدوَّهُ على نفسهِ كانَ كمنْ أدخلَ يدَهُ في فمِ الأفعى : فقالَ السنّورُ وهو ممتلئٌ غيظاً : قد ضاقَ صدري وضعفتْ نفسي . وها أنا في النزعِ وعن قليلٍ أموتُ على بابكَ ويبقى إثمي عليكَ لأنكَ قادرٌ على نجاتي ممّا أنا فيهِ . وهذا آخرُ كلامي معكَ : فحصلَ للفأرِ خوفٌ من اللهِ تعالى . ونزلتْ في قلبهِ الرحمةُ وقالَ في نفسهِ : من أرادَ المعونةَ من اللهِ تعالى على عدوّهِ فليصنعْ معه رحمةً وخيراً . وأنا متوكّلٌ على اللهِ في هذا الأمرِ وأنقذُ هذا السنّورَ من هذا الهلاكِ لأكسبَ أجرَهُ ؛ فعندَ ذلكَ خرجَ الفأرُ إلى السنّورِ وأدخلهُ في وكرهِ سحباً . فأقامَ عندهُ إلى أنِ اشتدَّ واستراحَ وتعافى قليلاً . فصارَ يتأسّفُ على ضعفهِ وذهابِ قوّتهِ وقلّةِ أصدقائهِ . فصارَ الفأرُ يترفّقُ بهِ ويأخذُ بخاطرهِ ويتقرّبُ منهُ ويسعى حولَهُ . فأمّا السنّورُ فإنّهُ زحفَ إلى الوكرِ حتى ملكَ المخرجَ خوفاً أن يخرجَ منهُ الفأرُ . فلمّا أرادَ الخروجَ قربَ من

السنور على عادته . فلما صار قريبا منه قبض عليه وأخذه بين أظافيره وصار يعضه وينثره ويأخذه في فمه ويرفعه عن الأرض ويرميه ويجري وراءه وينهشه ويعذبه . فعند ذلك استغاث الفأر وطلب الخلاص من الله . وجعل يعاتب السنور ويقول : أين العهد الذي عاهدتني به . وأين أقسامك التي أقسمت بها . أهذا جزائي منك . وقد أدخلتك وكري واستأمنتك على نفسي . ولكن صدق من قال : من أخذ عهداً من عدوه لا يبتغي لنفسه نجاة . ومن قال : من سلّم نفسه لعدوه كان مستوجبا لنفسه الهلاك . ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخلصني منك : فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد أن يهجم عليه ويفترسه . إذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة على الصيد . فمر منها كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن أن فيه ثعلبا يفترس شيئاً . فاندفع الكلب منحدرا ليصطاده فصادف السنور فجذبه إليه . فلما وقع السنور بين يدي الكلب التهى بنفسه وأطلق الفأر حياً ليس فيه جرح . وأما هو فإنه خرج به الكلب الجارح بعد أن قطع عصبه ورماه ميتاً . وصدق في حقهما قول من قال : من رحم رُحم آجلا . ومن ظلم ظُلم عاجلا

هذا ما جرى لهما أيها الملك . فلذلك لا ينبغي لأحد أن ينقض عهد من استأمنه . ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور .

لأنه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع إلى الخير ينل الثواب. ولكن لا
تحزن أيها الملك ولا يشق عليك ذلك. لأن ولدك بعد ظلمه وعسفه
ربما يعود إلى حسن سيرتك. وإن هذا العالم الذي هو وزيرك
شماس أحب أن لا يكتم عليك شيئاً فيما رمزه إليك. وذلك رشد منه
لأنه قد قيل: أكثر الناس خوفاً أوسعهم علماً وأغبطهم خيراً: فأذعن
الملك عند ذلك وأمر لهم بإكرام جزيل. ثم صرفهم وقام ودخل
مكانه وصار يتفكر في عاقبة أمره. وسلم أمره إلى الله الذي في يده
جميع الأمور. فلم يمض زمان كثير إلا أتته البشرى بتحقيق أمله
فقال: صدقت رؤياي والله المستعان: ثم إنه دعا ببعض الغلمان
وأرسله ليحضر شماساً. فلما حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو
فرحان قائلا: قد صدقت رؤياي واتصل رجائي فلعل ذلك الحمل
يكون ولداً ذكراً ويكون وارثاً لملكي. فما تقول يا شماس في ذلك:
فسكت شماس ولم ينطق بجواب. فقال له الملك: مالي أراك لا تفرح
لفرحي ولا ترد لي جواباً. يا ترى هل أنت كاره لهذا الأمر يا شماس:
فسجد عند ذلك شماس بين يدي الملك وقال: أيها الملك أطال
الله عمرك. ما الذي ينفع المستظل بشجرة إذا كانت النار تخرج
منها وما لذة شارب الخمر الصافي إذا حصل له بها الشرق. وما
فائدة الناهل من الماء العذب البارد إذا غرق فيه. وإنما أنا عبد
لله ولك أيها الملك. ولكن قد قيل: ثلاثة أشياء لا ينبغي للعاقل

أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ: اَلْمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ. وَالَّذِي فِي الْحَرْبِ حَتَّى يَقْهَرَ عَدُوَّهُ. وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا. فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَتِمَّ مِثْلُ النَّاسِكِ الْمَدْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنُ: فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَكَيْفَ حِكَايَةُ النَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ

(حكاية الناسك وما جرى له)

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ. إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ بَعْضِ الْمُدُنِ. وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جِرَايَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذٰلِكَ الشَّرِيفِ. وَهِيَ: ثَلٰثَةُ أَرْغِفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ. وَكَانَ السَّمْنُ فِي ذٰلِكَ الْبَلَدِ غَالِيًا. وَكَانَ النَّاسِكُ يَجْمَعُ الَّذِي يَجِيءُ إِلَيْهِ فِي جَرَّةٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَّقَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ خَوْفًا وَاحْتِرَاسًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. إِذْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ السَّمْنِ وَغَلَائِهِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: يَنْبَغِي أَنْ أَبِيعَ هٰذَا السَّمْنَ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ. وَأَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ نَعْجَةً وَأُشَارِكَ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْفَلَّاحِينَ. فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَثَانِي عَامٍ تَلِدُ أُنْثَى وَذَكَرًا. وَلَا تَزَالُ هٰذِهِ الْغَنَمُ تَتَوَالَدُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا حَتَّى تَصِيرَ شَيْئًا كَثِيرًا. وَأَقْسِمُ حِصَّتِي بَعْدَ ذٰلِكَ وَأَبِيعُ مَا شِئْتُ. وَأَشْتَرِي الْأَرْضَ الْفُلَانِيَّةَ وَأُنْشِئُ فِيهَا غَيْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا وَأَقْتَنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا. وَأَشْتَرِي عَبِيدًا وَجَوَارِيَ وَأَتَزَوَّجُ بِنْتَ التَّاجِرِ

الفلاني وأعمل عرساً ما صار مثله قط. وأذبح الذبائح وأعمل الأطعمة الفاخرة والحلويات الملبسات وغيرها. وأجمع فيه أهل الملاعب وأرباب الفنون وآلات السماع وأجهز الأزهار والمشمومات وأصناف الرياحين وأدعو الأغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وأرباب الدولة. وكل من طلب شيئاً أحضرته إليه. وأجهز أنواع المآكل والمشارب. وأطلق منادياً ينادي. من يطلب شيئاً يناله. وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاماً ذكراً. فأفرح به وأعمل له الولائم وأربيه في الدلال. وأعلمه الحكمة والأدب والحساب وأشهر اسمه بين الناس. وأفتخر به عند أرباب المجالس. وآمره بالمعروف فلا يخالفني وأنهاه عن الفاحشة والمنكر. وأوصيه بالتقوى وفعل الخير. وأعطيه العطايا الحسنة السنية. فإن رأيته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة. وإن رأيته مال إلى المعصية أنزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها. فعند ذلك نزلت بشقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه ولحيته وصار عبرة. فلأجل ذلك أيها الملك. لا ينبغي للإنسان أن يتكلم على شيء قبل أن يصير

فقال له الملك: لقد صدقت فيما قلت. ونعم الوزير أنت. لكونك بالصدق نطقت. وبالخير أشرت. ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولاً. فسجد شماس لله وللملك ودعا

لَهُ بِدَوَامِ ٱلنِّعَمِ وَقَالَ لَهُ: أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامَكَ وَأَعْلَى شَأْنَكَ. وَٱعْلَمْ أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي ٱلسِّرِّ وَلَا فِي ٱلْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ رِضَايَ وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرَحٌ إِلَّا بِفَرَحِكَ وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَبِيتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَى رَزَقَنِي كُلَّ خَيْرٍ بِإِكْرَامِكَ إِيَّايَ. فَأَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَحْرُسَكَ بِمَلَائِكَتِهِ. وَيُحْسِنَ ثَوَابَكَ عِنْدَ لِقَائِهِ. فَٱبْتَهَجَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ. ثُمَّ قَامَ شِمَاسُ وَٱنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ وَضَعَتْ زَوْجَةُ ٱلْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا. فَنَهَضَ ٱلْمُبَشِّرُونَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ فَفَرِحَ بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَشَكَرَ ٱللهَ شُكْرًا جَزِيلًا وَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي رَزَقَنِي وَلَدًا بَعْدَ ٱلْيَأْسِ وَهُوَ ٱلشَّفُوقُ ٱلرَّؤُوفُ عَلَى عِبَادِهِ: ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِٱلْخَبَرِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَحَضَرَ لَهُ ٱلْأُمَرَاءُ وَٱلرُّؤَسَاءُ وَٱلْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلَّذِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ. هٰذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلَدِهِ. فَإِنَّهُ قَدْ دَقَّتْ لَهُ ٱلْبَشَائِرُ وَٱلْأَفْرَاحُ فِي سَائِرِ ٱلْمَمْلَكَةِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُهَا إِلَى ٱلْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ ٱلْأَقْطَارِ. وَأَقْبَلَ أَهْلُ ٱلْعُلُومِ وَٱلْفَلْسَفَةِ وَٱلْأُدَبَاءُ وَٱلْحُكَمَاءُ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ إِلَى ٱلْمَلِكِ. وَوَصَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى ٱلْوُزَرَاءِ ٱلسَّبْعَةِ ٱلْكِبَارِ ٱلَّذِينَ رَئِيسُهُمْ شِمَاسُ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى

قدر ما عنده من الحكمة في شأن ما هو بصدده . فأبتدأ رئيسهم الوزير شماس . واستأذن الملك في الكلام . فأذن له ؛

فقال الحمد لله الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود المنعم على عباده الملوك أهل العدل والإنصاف بما أولاهم من الملك والعمل الصالح . وبما أجراه على أيديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصاً ملكنا الذي أحيا به موات بلادنا بما أسداه الله علينا من النعم . ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل . فأي ملك يصنع بأهل مملكته ما صنع الملك بنا من القيام بمصالحنا وأداء حقوقنا وإنصاف بعضنا من بعض وقلة الغفلة عنا ورد مظالمنا . ومن فضل الله على الناس أن يكون ملكهم متعهداً لأمورهم . وحافظاً لهم من عدوهم لأن العدو غاية قصده أن يقهر عدوه وأن يملكه في يده . وكثير من الناس يقدمون أولادهم إلى الملوك خدماً فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد . لأجل أن يمنعوا عنهم الأعداء وأما نحن فلم يطأ بلادنا أعداء في زمن ملكنا . لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وإنما هي فوق ذلك . وأنت أيها الملك حقيق بأنك أهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظل جناحك أحسن الله ثوابك وأدام بقاءك . لأننا كنا قبل ذلك نجد في الطلب من الله تعالى أن يمن علينا بالإجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولداً صالحاً تقر به عيناك والله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنَّا وَٱسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِٱلْفَرَجِ ٱلْقَرِيبِ مِثْلَمَا أَتَى لِبَعْضِ ٱلسَّمَكِ فِي غَدِيرِ ٱلْمَاءِ: فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ ٱلسَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شَمَّاسُ: ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَمَاكِنِ غَدِيرُ مَاءٍ. وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ. فَعَرَضَ لِذَلِكَ ٱلْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ مَاؤُهُ. وَصَارَ يَنْضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْمَاءِ مَا يَسَعُهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ. وَقَالَتْ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا. وَكَيْفَ نَحْتَالُ وَمَنْ نَسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا: فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ عَقْلًا وَسِنًّا وَقَالَتْ: مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا ٱلطَّلَبُ مِنَ ٱللهِ. وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ ٱلرَّأْيَ مِنَ ٱلسَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا فَهَلُمِّنَ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ ٱلْكَلَامِ. فَٱسْتَحْسَنَّ رَأْيَهَا وَجِئْنَ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى ٱلسَّرَطَانِ. فَوَجَدْنَهُ رَابِضًا فِي مَوْضِعِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبَرٌ مِمَّا هُنَّ فِيهِ. فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ: يَا سَيِّدَنَا. أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا. وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَئِيسُنَا. فَأَجَابَهُنَّ ٱلسَّرَطَانُ قَائِلًا: وَعَلَيْكُنَّ ٱلسَّلَامُ. مَا ٱلَّذِي بِكُنَّ. وَمَا تُرِدْنَ. فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ قِصَّتَهُنَّ وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقْصِ ٱلْمَاءِ وَأَنَّهُ مَتَى نَشِفَ حَصَلَ لَهُنَّ ٱلْهَلَاكُ. ثُمَّ قُلْنَ لَهُ: وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأْيَكَ وَمَا يَكُونُ فِيهِ ٱلنَّجَاةُ. لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا وَأَعْرَفُ مِنَّا. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ

رأسه مليًا ثم قال: لا شك أن عندكن نقص عقل لليأس من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعًا. ألم تعلمن أن الله تعالى سبحانه يرزق عباده بغير حساب. وقدر أرزاقهم قبل أن يخلق شيئًا من الأشياء. وجعل لكل شخص عمرًا محدودًا ورزقًا مقسومًا بقدرته الإلهية. فكيف نحمل هم شيء هو في الغيب مسطور. والرأي عندي أنه لم يكن شيء أحسن من الطلب من الله تعالى. فينبغي أن كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه في سره وعلانيته. ويدعو الله أن يخلصنا وينقذنا من الشدائد. لأن الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل إليه. فإذا أصلحنا أحوالنا استقامت أمورنا وحصل لنا كل خير ونعمة. وإذا جاء الشتاء وغمر أرضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناه. فالرأي أن نصبر وننتظر ما يفعله الله بنا. فإن كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا. وإن كان يحصل لنا ما يوجب الهرب هربنا ورحلنا من أرضنا إلى حيث يريد الله. فأجاب السمك جميعه من فم واحد: صدقت يا سيدنا. جزاك الله عنا خيرًا. وتوجه كل واحد منهن إلى موضعه. فما مضى إلا أيام قلائل وأتاهن الله بمطر شديد حتى ملأ محل الغدير زيادة عما كان أولا

وهكذا نحن أيها الملك كنا يائسين من أن يكون لك ولد. وحيث من الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك. فنسأل الله تعالى

أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا مُبَارَكًا. وَأَنْ يُقِرَّ بِهِ عَيْنَكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً. وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مَا رَزَقَنَا مِنْكَ. فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ. وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى ٱلْمَلِكِ. فَأَجَابَهُ ٱلْمَلِكُ قَائِلًا: وَعَلَيْكَ ٱلسَّلَامُ: فَقَالَ ذَٰلِكَ ٱلْوَزِيرُ: إِنَّ ٱلْمَلِكَ لَا يُسَمَّى مَلِكًا إِلَّا إِذَا أَعْطَى وَعَدَلَ. وَحَكَمَ وَأَكْرَمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ ٱلْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ. وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَحَقَنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ ٱلْأَذَى عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْ فُقَرَائِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَاهُمْ وَأَدْنَاهُمْ وَإِعْطَائِهِمُ ٱلْحَقَّ ٱلْوَاجِبَ لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُمْتَثِلِينَ لِأَمْرِهِ. لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ ٱلْمَلِكَ ٱلَّذِي بِهَٰذِهِ ٱلصِّفَةِ مَحْبُوبٌ عِنْدَ ٱلرَّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ ٱلدُّنْيَا عَلَاءَهَا وَمِنَ ٱلْآخِرَةِ شَرَفَهَا وَرِضَى خَالِقِهَا. وَنَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ. كَمَا قِيلَ: خَيْرُ ٱلْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ ٱلرَّعِيَّةِ عَادِلًا. وَحَكِيمُهَا مَاهِرًا. وَعَالِمُهَا خَبِيرًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ. وَنَحْنُ ٱلْآنَ مُتَنَعِّمُونَ بِهَٰذِهِ ٱلسَّعَادَةِ. وَكُنَّا قَبْلَ ذَٰلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي ٱلْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ. وَلَكِنَّ ٱللهَ جَلَّ ٱسْمُهُ لَمْ يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقَبِلَ دُعَاءَكَ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ. فَنِعْمَ ٱلرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ. وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَٱلْحَيَّةِ: فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: كَيْفَ ذَٰلِكَ وَمَا حِكَايَةُ ٱلْغُرَابِ وَٱلْحَيَّةِ

(حكاية الغراب والحية)

فقال الوزير: اعلم أيها الملك أنه كان غراب ساكنا في شجرة هو وزوجته في أرغد عيش إلى أن بلغا زمان تفريخهما. وكان زمن القيظ. فخرجت حية من وكرها. وقصدت تلك الشجرة فتعلقت بفروعها إلى أن صعدت إلى عش الغراب وربضت فيه. ومكثت مدة أيام الصيف. وصار الغراب مطرودا لا يجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه. فلما انقضت أيام الحر ذهبت الحية إلى موضعها. فقال الغراب لزوجته: لنشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنا حرمنا من الزاد في هذه السنة. لأن الله تعالى لا يقطع رجاءنا. فنشكره على ما من علينا من السلامة وصحة أبداننا. وليس لنا اتكال إلا عليه. وإذا أراد الله وعشنا إلى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا. فلما كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة. فبينما هي متعلقة ببعض أغصانها. وهي قاصدة عش الغراب على العادة. وإذا بحداة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها. فعند ذلك سقطت الحية على الأرض مغشيا عليها. وطلع عليها النمل فأكلها. وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة. وفرخا أولادا كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الأولاد. ونحن أيها الملك: يجب علينا شكره على ما أنعم به عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد. بعد

ٱلْيَأْسِ وَقَطْعِ ٱلرَّجَاءِ . أَحْسَنَ ٱللهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ أَمْرِكَ

ثُمَّ قَامَ ٱلْوَزِيرُ ٱلثَّالِثُ وَقَالَ: أَبْشِرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَادِلُ بِٱلْخَيْرِ ٱلْعَاجِلِ وَٱلثَّوَابِ ٱلْآجِلِ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ تُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ . وَٱللهُ تَعَالَى قَسَمَ لَكَ ٱلْمَحَبَّةَ . وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ . فَلَهُ ٱلشُّكْرُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ . وَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَى . وَأَنَّهُ هُوَ ٱلْمُعْطِي . وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي . قَسَمَ ٱلنِّعَمَ عَلَى عَبِيدِهِ كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ مَوَاهِبَ كَثِيرَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ ٱلْقُوتِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَاهِدًا فِي ٱلدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي قَالَ: أَنَا ٱلضَّارُّ ٱلنَّافِعُ . أَشْفِي وَأُمْرِضُ . وَأُغْنِي وَأُفْقِرُ . وَأُمِيتُ وَأُحْيِي . وَبِيَدِي كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ . فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ ٱلنَّاسِ شُكْرُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مِنَ ٱلسُّعَدَاءِ ٱلْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنَّ أَسْعَدَ ٱلْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ ٱللهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرَيِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . وَيَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ ٱللهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ . وَمَنْ تَعَدَّى وَطَلَبَ غَيْرَ مَا قَدَّرَ ٱللهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشْبِهُ حِمَارَ ٱلْوَحْشِ وَٱلثَّعْلَبَ: قَالَ ٱلْمَلِكُ : وَمَا حَدِيثُهُمَا

(حكاية حمار الوحش والثعلب)

قَالَ ٱلْوَزِيرُ : ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ .

وَإِذَا بِالنَّهَارِ قَدِ ٱنْقَضَى . وَقَصَدَ ٱلرُّجُوعَ . فَٱجْتَمَعَ عَلَى ثَعْلَبٍ رَآهُ مَاشِيًا . وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْكِي لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا ٱفْتَرَسَهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنَّنِي بِٱلْأَمْسِ وَقَعْتُ فِي حِمَارِ وَحْشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا . وَكَانَ لِي ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ . فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ وَشَكَرْتُ ٱللهَ تَعَالَى ٱلَّذِي سَخَّرَهُ لِي . ثُمَّ إِنِّي عَمَدْتُ إِلَى قَلْبِهِ فَأَكَلْتُهُ وَشَبِعْتُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَمْ أَجِدْ شَيْئًا آكُلُهُ وَمَعَ ذَلِكَ أَنَا شَبْعَانُ إِلَى ٱلْآنَ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلثَّعْلَبُ ٱلْحِكَايَةَ حَسَدَهُ عَلَى شِبَعِهِ . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ حِمَارِ ٱلْوَحْشِ . فَتَرَكَ ٱلْأَكْلَ أَيَّامًا حَتَّى ٱنْهَزَلَ وَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْمَوْتِ وَقَصَّرَ سَعْيَهُ وَٱجْتِهَادَهُ وَرَبَضَ فِي وَطَنِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِي وَطَنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ وَإِذَا بِصَيَّادَيْنِ مَاشِيَيْنِ قَاصِدَيْنِ ٱلصَّيْدَ فَوَقَعَ لَهُمَا حِمَارُ وَحْشٍ . فَأَقَامَا ٱلنَّهَارَ كُلَّهُ فِي أَثَرِهِ طَرْدًا . ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمَا رَمَاهُ بِسَهْمٍ مُشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَٱتَّصَلَ بِقَلْبِهِ فَقَتَلَهُ قُبَالَةَ وَكْرِ ٱلثَّعْلَبِ ٱلْمَذْكُورِ . فَأَدْرَكَهُ ٱلصَّيَّادَانِ فَوَجَدَاهُ مَيْتًا . فَأَخْرَجَا ٱلسَّهْمَ ٱلَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ . فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا ٱلْعُودُ . وَبَقِيَ ٱلسَّهْمُ مُشَعَّبًا فِي بَطْنِ حِمَارِ ٱلْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ خَرَجَ ٱلثَّعْلَبُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ يَتَضَجَّرُ مِنَ ٱلضَّعْفِ وَٱلْجُوعِ فَرَأَى حِمَارَ ٱلْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَرِيحًا . فَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيرَ مِنَ ٱلْفَرَحِ . فَقَالَ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي يَسَّرَ لِي شَهْوَتِي مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ لِأَنِّي كُنْتُ لَا آمُلُ أَنِّي أُصِيبُ حِمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ . وَلَعَلَّ ٱللهَ

أوقع هذا وساقه إليّ في موضعي : ثم وثب عليه وشق بطنه وأدخل رأسه . وصار يجول بفمه في أمعائه إلى أن وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعه . فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على إدخاله في بطنه ولا على إخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك . وقال حقاً لا ينبغي لمخلوق أن يطلب لنفسه فوق ما قسمه الله له . لأني لو قنعت بما قسمه الله لي لما صرت إلى الهلاك

فلهذا أيها الملك . ينبغي للإنسان أن يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه عليه ولا يقطع رجاءه من مولاه . وها أنت أيها الملك بحسن نيتك وإسداء معروفك رزقك الله ولداً بعد اليأس . فنسأل الله تعالى أن يرزقه عمراً طويلاً وسعادة دائمة . ويجعله خلفاً مباركاً موفياً بعهدك من بعدك بعد طول عمرك

ثم قام الوزير الرابع وقال : إن الملك إذا كان فهيماً عالماً بأبواب الحكمة والأحكام والسياسة . مع صلاح النية والعدل في الرعية وإكرام من يجب إكرامه . وتوقير من يجب توقيره . والعفو عند القدرة فيما لا بد منه . ورعاية الرؤساء والمرؤوسين . والتخفيف عنهم والإنعام عليهم . وصون دمائهم والوفاء بعهدهم . كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والأخروية . فإن ذلك مما يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه . ونصرته على أعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة

اللهِ عَلَيهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكْرِهِ وَالْفَوْزِ بِعِنَايَتِهِ . وَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ . لِكَوْنِ جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ الْمَلِكِ السَّائِحِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

(حكاية ابن الملك السائح)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ جَائِرٌ فِي حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضَيِّعٌ لِرِعَايَةِ رَعِيَّتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عُمَّالُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَيُبْقُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرُ . فَقَدَّرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ . فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا لِلهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي الْبَرَارِي وَالْقِفَارِ وَيَدْخُلُ الْمُدُنَ . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمُحَافِظِينَ أَخَذُوهُ وَفَتَّشُوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَتِيقٌ . فَنَزَعُوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَتِيقَ بَعْدَ الْإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ . فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيْحَكُمْ أَيُّهَا الظَّالِمُونَ . أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَائِحٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ . وَإِذَا لَمْ تُعْطُوهُ لِي ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَوْتُكُمْ إِلَيْهِ : فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّنَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ . فَمَا بَدَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ فَافْعَلْهُ : فَصَارَ السَّائِحُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ وَأَرَادَ

الدخول فمنعه الحجاب فرجع وقال في نفسه: مالي إلا أني أرصده حتى يخرج وأشكو إليه حالي وما أصابني: فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك. إذ سمع أحد الأجناد يخبر عنه. فأخذ يتقدم قليلا قليلا حتى وقف قبالة الباب. فما شعر إلا والملك خارج فعارضه السائح ودعا له بالنصر. وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا إليه حاله. وأخبره أنه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالبا رضى الله تعالى فصار سائحا في الأرض. وكل من وفد عليه من الناس أحسن إليه بما أمكنه. وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة. ثم قال: فلما دخلت هذه المدينة ترجيت أن يفعل بي أهلها مثل ما يفعل بغيري من السائحين. فعارضني أتباعك ونزعوا أحد أثوابي وأخفوني ضربا. فانظر في شأني وخذ بيدي وخلص لي ثوبي. وأنا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة: فأجابه الملك الظالم قائلا: من أشار عليك بدخولك هذه المدينة. وأنت غير عالم بما يفعل ملكها: فقال: بعد أن آخذ ثوبي افعل بي مرادك

فلما سمع الملك الظالم من السائح هذا الكلام. حصل عنده تغيير مزاج فقال: أيها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكي تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندي. فأنا أنزع نفسك منك: ثم أمر بسجنه. فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب

وعنف نفسه حيث لم تترك ذلك ويفوز بروحه. فلما كان نصف الليل قام على قدميه وصلى صلاة مطولة. وقال: يا ألله. إنك أنت الحكم العدل. تعلم بحالي وما انطوى عليه أمري مع هذا الملك الجائر. وأنا عبدك المظلوم أسألك من فيض رحمتك أن تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لأنك لا تغفل عن ظلم كل ظالم. فإن كنت تعلم أنه ظلمني فأحلل نقمتك عليه في هذه الليلة وأنزل به عذابك لأن حكمك عدل وأنت غياث كل ملهوف (١). يا من له القدرة والعظمة إلى آخر الدهر: فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الأعضاء مرعوبا. فبينما هو كذلك وإذا بنار اتقدت في القصر الذي فيه الملك. وأحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجان. ولم يزالا سائرين حتى وصلا إلى غير تلك المدينة. وأما مدينة الملك الظالم فإنها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها. وأما نحن أيها الملك السعيد. فما نمسي ونصبح إلا ونحن داعون وشاكرون الله تعالى

---

(١) هذه طلبة مظلوم لم يستنر بنور تعليم المسيح الغافر لاعدائه. فمن آمن بهذه الحكمة الالهية والجودة الازلية حذا حذوه تعالى محتملا السوء غافرا لمن اساء اليه مستنيرا بموجب كلام الرب القائل: احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويظلمكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويمطر على الصديقين والظالمين (متى ٥: ٤٤و٤٥)

عَلَى فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ بِعَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا غَمٌّ كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ عَنَّا الْغَمَّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ بِوُجُودِ هٰذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ. فَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَهُ الْعِزَّ وَالسَّعَادَةَ الْبَاقِيَةَ وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ: تَبَارَكَ اللهُ الْعَظِيمُ مَانِحُ الْعَطَايَا الصَّالِحَةِ وَالْمَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ. وَبَعْدُ فَإِنَّا تَحَقَّقْنَا أَنَّ اللهَ يُنْعِمُ عَلَى مَنْ يَشْكُرُهُ وَيُحَافِظُ عَلَى دِينِهِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. الْمَوْصُوفُ بِهٰذِهِ الْمَنَاقِبِ الْجَلِيلَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرْضِي اللهَ تَعَالَى. فَلِأَجْلِ ذٰلِكَ أَعْلَى اللهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ هٰذِهِ الْعَطِيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي هِيَ هٰذَا الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْيَأْسِ. وَصَارَ لَنَا بِذٰلِكَ الْفَرَحُ الدَّائِمُ وَالسُّرُورُ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ. لِأَنَّنَا قَبْلَ ذٰلِكَ كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدٍ لَكَ. وَفِي أَفْكَارٍ فِيمَا أَنْتَ مَنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا. وَخَوْفًا أَنْ يَقْضِيَ اللهُ عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَيَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِكَ. فَيَخْتَلِفَ رَأْيُنَا وَيَقَعَ بَيْنَنَا الشِّقَاقُ وَيَصِيرَ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ: فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ

فَأَجَابَهُ ٱلْوَزِيرُ قَائِلًا: اعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْبَرَارِي وَادٍ مُتَّسِعٌ. وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ تُسَبِّحُ ٱللهَ ٱلْوَاحِدَ ٱلْقَهَّارَ. خَالِقَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ ٱلطُّيُورِ غُرْبَانٌ. وَكَانَتْ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ. وَكَانَ ٱلْمُقَدَّمُ عَلَيْهِنَّ وَٱلْحَاكِمُ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رَؤُوفٌ بِهِنَّ شَفُوقٌ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِنَّ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا. فَٱتَّفَقَ أَنَّ مُقَدَّمَهُنَّ تُوُفِّيَ وَجَاءَهُ ٱلْأَمْرُ ٱلْمَحْتُومُ عَلَى سَائِرِ ٱلْخَلْقِ فَحَزِنَتْ عَلَيْهِ حُزْنًا شَدِيدًا. وَمِنْ زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلُهُ يَقُومُ مَقَامَهُ. فَٱجْتَمَعْنَ جَمِيعًا وَٱئْتَمَرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَقُومُ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحًا. فَطَائِفَةٌ مِنْهُنَّ ٱخْتَرْنَ غُرَابًا وَقُلْنَ إِنَّ هٰذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا عَلَيْنَا. وَأُخَرُ ٱخْتَلَفْنَ فِيهِ. وَلَمْ يُرِدْنَهُ فَوَقَعَ بَيْنَهُنَّ ٱلشِّقَاقُ وَٱلْجِدَالُ وَعَظُمَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ حَصَلَ بَيْنَهَا تَوَافُقٌ. وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ يَنَمْنَ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ. وَلَا يُبَكِّرُ أَحَدٌ إِلَى ٱلسُّرُوحِ فِي طَلَبِ ٱلْمَعِيشَةِ غَدًا. بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى ٱلصَّبَاحِ. وَعِنْدَ طُلُوعِ ٱلْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلَّ طَيْرٍ يَسْبِقُ فِي ٱلطَّيَرَانِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ هُوَ ٱلَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ ٱللهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا لِلْمُلْكِ. فَنَجْعَلُهُ مَلِكًا عَلَيْنَا وَنُوَلِّيهِ أَمْرَنَا. فَرَضِينَ كُلُّهُنَّ بِذٰلِكَ وَعَاهَدْنَ بَعْضُهُنَّ

بعضا وا تفقن على هذا العَقد . فبينما هي على ذلك الحال إذ طار باز . فقلن له : يا أبا الخير . نحن اخترناك واليا علينا لتنظر في أمرنا . فرضي الباز بما قلنه . وقال لهن : إن شاء الله تعالى سيكون لكن مني خير عظيم . ثم إنهن بعد ما ولينه عليهن . صار كل يوم إذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدهن ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقي . ولم يزل يفعل معهن هكذا حتى فطنت به فرأت غالبها قد هلك فأيقنت بالهلاك . وقال بعضهن لبعض : كيف نصنع وقد هلك أكثرنا . وما انتبهنا حتى هلك أكابرنا . فينبغي أن نتحفظ على أنفسنا . فلما أصبحت نفرت منه وتفرقت من حوله . ونحن الآن نخشى أن يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك . ولكن قد من الله علينا بهذه النعمة ووجهك إلينا . ونحن واثقون الآن بالصلاح وجمع الشمل والأمن والأمانة والسلامة في الوطن . فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل . وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا وإياه السعادة العظمى . وجعله سعيد الوقت قائم الجد

ثم قام الوزير السادس وقال : هنأك الله أيها الملك بأحسن الهناء في الدنيا والآخرة . فقد تقدم من قول المتقدمين أن من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه . وقد وليت علينا فعدلت فكنت في ذلك سعيد

الْحَرَكَاتِ. فَنَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْ يُجْزِلَ ثَوَابَكَ وَيَأْجُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ. وَقَدْ سَمِعْتَ مَا قَالَ هٰذَا ٱلْعَالِمُ فِيمَا نَتَخَوَّفُ مِنْ حِرْمَانِ حَظِّنَا بِعَدَمِ ٱلْمَلِكِ أَوْ بِوُجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَهُ. فَيَعْظُمُ ٱخْتِلَافُنَا بَعْدَهُ وَيَقَعُ ٱلْبَلَاءُ فِي ٱلِٱخْتِلَافِ. وَإِذَا كَانَ ٱلْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فَٱلْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَهِلَ إِلَى ٱللّٰهِ تَعَالَى بِٱلدُّعَاءِ. لَعَلَّهُ يَهَبُ لِلْمَلِكِ وَلَدًا سَعِيدًا. وَيَجْعَلُهُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ بَعْدَهُ. ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ رُبَّمَا كَانَ ٱلَّذِي يُحِبُّهُ ٱلْإِنْسَانُ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَيَشْتَهِيهِ مَجْهُولَ ٱلْعَاقِبَةِ لَهُ. وَحِينَئِذٍ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَدْرِي عَاقِبَتَهُ. لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُ ذٰلِكَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ. فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ ٱلْحَاوِيَ وَأَوْلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ ٱلْحَاوِي وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته)

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ: ٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ يُرَبِّي ٱلْحَيَّاتِ. وَهٰذِهِ كَانَتْ صَنْعَتَهُ. وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ. فِيهَا ثَلَاثُ حَيَّاتٍ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ. وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَخْرُجُ يَدُورُ بِهَا فِي ٱلْمَدِينَةِ. وَيَتَسَبَّبُ بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ. وَيَرْجِعُ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ. وَيَضَعُ ٱلْأَحْنَاشَ فِي ٱلسَّلَّةِ سِرًّا. وَعِنْدَ ٱلصَّبَاحِ يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي ٱلْمَدِينَةِ. فَكَانَ هٰذَا دَأْبَهُ عَلَى ٱلدَّوَامِ. وَلَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ بَيْتِهِ بِمَا فِي ٱلسَّلَّةِ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا عَادَ ٱلْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى

جَرْيِ عَادَتِهِ سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ: مَا فِي هٰذِهِ ٱلسَّلَّةِ. فَقَالَ لَهَا ٱلْحَاوِي: وَمَا مُرَادُكِ مِنْهَا. أَلَيْسَ ٱلزَّادُ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا زَائِدًا. فَٱقْنَعِي بِمَا قَسَمَ ٱللهُ لَكِ. وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ. فَسَكَتَتْ عَنْهُ تِلْكَ ٱلْمَرْأَةُ وَصَارَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا: لَا بُدَّ لِي أَنْ أُفَتِّشَ هٰذِهِ ٱلسَّلَّةَ وَأَعْرِفَ مَا فِيهَا. وَصَمَّمَتْ عَلَى ذٰلِكَ وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكَّدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا وَالِدَهُمْ عَنِ ٱلسَّلَّةِ وَيُلِحُّوا عَلَيْهِ فِي ٱلسُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَعَلَّقَ خَاطِرُ ٱلْأَوْلَادِ بِأَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُؤْكَلُ. فَصَارَ ٱلْأَوْلَادُ كُلَّ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مِنْ أَبِيهِمْ أَنْ يُرِيَهُمْ مَا فِي ٱلسَّلَّةِ. وَكَانَ أَبُوهُمْ يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ هٰذَا ٱلسُّؤَالِ. فَمَضَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ وَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْحَالِ. وَأُمُّهُمْ تَحُثُّهُمْ عَلَى ذٰلِكَ. ثُمَّ ٱتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى يُبَلِّغَهُمْ طَلِبَتَهُمْ وَيَفْتَحَ لَهُمُ ٱلسَّلَّةَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ ٱلْحَاوِي وَمَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ. فَقَعَدَ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوُا ٱلْحُضُورَ إِلَيْهِ. وَبَيَّنُوا لَهُ ٱلْغَيْظَ. فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُمْ بِٱلْكَلَامِ ٱلْحَسَنِ وَيَقُولُ لَهُمْ: ٱنْظُرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيءَ بِهِ إِلَيْكُمْ أَكْلًا أَوْ شُرْبًا أَوْ مَلْبُوسًا. فَقَالُوا لَهُ يَا وَالِدَنَا. مَا نُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتْحَ هٰذِهِ ٱلسَّلَّةِ لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا. فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَوْلَادِي لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ وَإِنَّمَا فَتْحُهَا ضَرَرٌ لَكُمْ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ ٱزْدَادُوا غَيْظًا. فَلَمَّا رَآهُمْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالَةِ. أَخَذَ يُهَدِّدُهُمْ وَيُشِيرُ لَهُمْ بِٱلضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا

عن تلك الحالة . فلم يزدادوا إلا غيظاً ورغبة في السؤال . فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصاً ليضربهم بها . فهربوا قدامه في الدار . وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكان . فجاءت المرأة الرجل مشغولا بالأولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها . وإذا بالحيات قد خرجت من السلة ولدغت المرأة أولا فقتلتها ثم دارت في الدار وأهلكت الكبار والصغار ما عدا الحاوي . فترك الحاوي الدار وخرج . فلما تحققت ذلك أيها الملك السعيد . علمت أن الإنسان ليس له أن يتمنى شيئاً غير الذي لم يرد الله تعالى بل يطيب نفساً بما قدره الله له وأراده . وها أنت أيها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك أقر الله عينك بحضور ولد لك بعد اليأس وطيب قلبك . ونحن نسأل الله تعالى أن يجعله من الخلفاء العادلين المرضين لله تعالى والرعية

ثم قام الوزير السابع وقال : أيها الملك . إني قد علمت وتحققت ما ذكره إخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به في حضرتك أيها الملك . وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عليهم . وذلك من بعض الواجب علينا أيها الملك

وأما أنا فأقول : الحمد لله الذي تولاك لنعمته . وأعطاك صلاح الملك برحمته وأعانك وإيانا على أن نزيده شكراً . وما ذاك

إِلَّا بِوُجُودِكَ . وَمَا دُمْتَ فِينَا لَمْ نَتَخَوَّفْ جَوْرًا وَلَا نَبْغِي ظُلْمًا . وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضُعْفِنَا . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَحْسَنَ الرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ عَادِلًا وَشَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا . وَقِيلَ أَيْضًا : السُّكْنَى مَعَ الْأُسُودِ الْكَوَاسِرِ وَلَا السُّكْنَى مَعَ السُّلْطَانِ الْجَائِرِ . فَالْحَمْدُ لِلهِ تَعَالَى عَلَى ذٰلِكَ حَمْدًا دَائِمًا حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِوُجُودِكَ . وَرَزَقَكَ هٰذَا الْوَلَدَ الْمُبَارَكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالطَّعْنِ فِي السِّنِّ . لِأَنَّ أَجَلَّ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا عَاقِبَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرَ . وَأَنْتَ بِقَوِيمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِاللهِ تَعَالَى أُعْطِيتَ هٰذَا الْوَلَدَ السَّعِيدَ . فَجَاءَكَ هٰذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكُ مِنَّةً مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ . بِحُسْنِ سِيرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ . وَصَارَ فِيكَ ذٰلِكَ مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالرِّيحِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ الْعَنْكَبُوتِ وَالرِّيحِ

(حكاية العنكبوت والريح)

قَالَ الْوَزِيرُ : اعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّقَتْ فِي بَابٍ مُنْتَحٍ عَالٍ . وَعَمِلَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَكَنَتْ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللهَ تَعَالَى الَّذِي يَسَّرَ لَهَا هٰذَا الْمَكَانَ وَأَمَّنَ خَوْفَهَا مِنَ الْهَوَامِّ . فَمَكَثَتْ عَلَى هٰذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ . وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَاتِّصَالِ رِزْقِهَا . فَامْتَحَنَهَا خَالِقُهَا بِأَنْ أَخْرَجَهَا لِيَنْظُرَ شُكْرَهَا وَصَبْرَهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً . فَحَمَلَتْهَا بِبَيْتِهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَحْرِ . فَجَرَتْهَا

ٱلْأَمْوَاجُ إِلَى ٱلْبَرِّ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ شَكَرَتِ ٱللّٰهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَتِهَا . وَجَعَلَتْ تُعَاتِبُ ٱلرِّيحَ قَائِلَةً لَهَا : أَيَّتُهَا ٱلرِّيحُ لِمَ فَعَلْتِ بِي ذٰلِكَ . وَمَا ٱلَّذِي حَصَلَ لَكِ مِنَ ٱلْخَيْرِ فِي نَقْلِي مِنْ مَكَانِي إِلَى هُنَا . وَقَدْ كُنْتُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً فِي بَيْتِي بِأَعْلَى ذٰلِكَ ٱلْبَابِ . فَقَالَ لَهَا ٱلرِّيحُ : ٱنْتَهِي عَنِ ٱلْعِتَابِ . فَإِنِّي سَأَرْجِعُ بِكِ وَأُوصِلُكِ إِلَى مَكَانِكِ كَمَا كُنْتِ أَوَّلًا . فَلَبِثَتِ ٱلْعَنْكَبُوتُ صَابِرَةً عَلَى ذٰلِكَ رَاجِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهَا حَتَّى ذَهَبَتْ رِيحُ ٱلشِّمَالِ وَلَمْ تَرْجِعْ بِهَا . وَهَبَّتْ رِيحُ ٱلْجَنُوبِ فَمَرَّتْ بِهَا وَٱخْتَطَفَتْهَا . وَطَارَتْ بِهَا إِلَى جِهَةِ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ . فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ عَرَفَتْهُ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسْأَلُ ٱللّٰهَ ٱلَّذِي أَثَابَ ٱلْمَلِكَ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبْرِهِ وَرَزَقَهُ هٰذَا ٱلْغُلَامَ بَعْدَ يَأْسِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ . وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ وَوَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسُّلْطَانِ . فَرَحِمَ رَعِيَّتَهُ وَأَوْلَاهُمْ نِعْمَتَهُ

فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ وَٱلشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ شُكْرٍ . لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ٱلَّذِي عَرَّفَنَا بِنُورِ آثَارِهِ جَلَالَ عَظَمَتِهِ . يُؤْتِي ٱلْمُلْكَ وَٱلسُّلْطَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي بِلَادِهِ . لِأَنَّهُ يَنْتَخِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ لِيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلًا عَلَى خَلْقِهِ . وَيَأْمُرُهُ فِيهِمْ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ وَإِقَامَةِ ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ وَٱلْعَمَلِ بِٱلْحَقِّ وَٱلِٱسْتِقَامَةِ فِي أُمُورِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ وَأَحَبُّوا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ

اللهُ كَانَ لِحَظِّهِ مُصِيبًا وَلِأَمْرِ رَبِّهِ مُطِيعًا. فَيَكْفِيهِ هَوْلَ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ جَزَاءَهُ فِي أُخْرَاهُ. إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللهُ أَخْطَأَ خَطَاءً بَلِيغًا وَعَصَى رَبَّهُ وَآثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى أُخْرَاهُ. فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَأْثُرٌ وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ. لِأَنَّ اللهَ لَا يُمْهِلُ عَلَى أَهْلِ الْجَوْرِ وَالْفَسَادِ وَلَا يُهْمِلُ أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ. وَقَدْ ذَكَرَ وُزَرَاؤُنَا هٰؤُلَاءِ أَنَّ مِنْ عَدْلِنَا بَيْنَهُمْ وَحُسْنِ تَصَرُّفِنَا مَعَهُمْ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ لِشُكْرِهِ الْمُسْتَوْجِبِ لِمَزِيدِ إِنْعَامِهِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَالَ مَا أَلْهَمَهُ اللهُ فِي ذٰلِكَ. وَبَالَغُوا فِي الشُّكْرِ لِلّٰهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ. وَأَنَا أَشْكُرُ اللهَ لِأَنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَلْبِي بِيَدِهِ وَلِسَانِي تَابِعٌ لَهُ. رَاضٍ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ. وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنْ أَمْرِ هٰذَا الْغُلَامِ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا حِينَ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ حَدًّا يَغْلِبُ مَعَهُ الْيَأْسُ وَضَعْفُ الْيَقِينِ. وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْحِرْمَانِ. وَاخْتِلَافُ الْحُكَّامِ كَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ إِنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا. فَنَحْمَدُ اللهَ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَنَا هٰذَا الْغُلَامَ سَمِيعًا مُطِيعًا وَجَعَلَهُ وَارِثًا مِنَ الْخِلَافَةِ مَحَلًّا رَفِيعًا. نَسْأَلُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَحِلْمِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ سَعِيدَ الْحَرَكَاتِ مُوَفَّقًا لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكًا وَسُلْطَانًا عَلَى رَعِيَّتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَلَكَاتِ الِاعْتِسَافِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ ٱلْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ ٱلْحُكَمَاءُ وَٱلْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلّٰهِ وَشَكَرُوا ٱلْمَلِكَ وَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَٱنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ دَخَلَ ٱلْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ ٱلْغُلَامَ وَدَعَا لَهُ

فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ ٱلْعُمْرِ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً. أَرَادَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُعَلِّمَهُ ٱلْعُلُومَ. فَبَنَى لَهُ قَصْرًا فِي وَسَطِ ٱلْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَقْصُورَةً. وَجَعَلَ ٱلْغُلَامَ فِيهِ. وَرَتَّبَ لَهُ ثَلَثَةً مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَغْفُلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا. وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي كُلِّ مَقْصُورَةٍ يَوْمًا وَيَحْرِصُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيُعَلِّمُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ ٱلْعُلُومِ عَارِفًا. وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَقْصُورَةٍ مَا يُعَلِّمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ ٱلْعُلُومِ. وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ مِنْ أَصْنَافِهَا. ثُمَّ إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ أَقْبَلُوا عَلَى ٱلْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْتُرُونَ عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤَخِّرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ. فَظَهَرَ لِلْغُلَامِ مِنْ ذَكَاءِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلْفَهْمِ وَقَبُولِ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَظْهَرْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ. وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا تَعَلَّمَهُ وَلَدُهُ وَأَتْقَنَهُ. فَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَسْتَظْهِرُ مِنْ ذٰلِكَ عِلْمًا حَسَنًا وَأَدَبًا جَمِيلًا. وَقَالَ ٱلْعُلَمَاءُ: إِنَّنَا مَا رَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا مِثْلَ هٰذَا ٱلْغُلَامِ. فَبَارَكَ ٱللّٰهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أَتَمَّ ٱلْغُلَامُ مُدَّةَ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ. وَفَاقَ جَمِيعَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْحُكَمَاءِ ٱلَّذِينَ فِي زَمَانِهِ. فَأَتَى بِهِ

ٱلْعُلَمَاءُ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَالِدِهِ. وَقَالُوا لَهُ: أَقَرَّ ٱللهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ بِهٰذَا
ٱلْوَلَدِ ٱلسَّعِيدِ. وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ بَلَغَ مَا بَلَغَهُ: فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ
فَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ ٱللهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَقَالَ ٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَى نِعَمِهِ ٱلَّتِي لَا تُحْصَى. ثُمَّ دَعَا بِشِمَاسٍ ٱلْوَزِيرِ وَقَالَ
لَهُ: ٱعْلَمْ يَا شِمَاسُ. أَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ٱبْنِي هٰذَا
قَدْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَلَّمُوهُ لَهُ حَتَّى
فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذٰلِكَ. فَمَا تَقُولُ يَا شِمَاسُ: فَسَجَدَ عِنْدَ ذٰلِكَ
لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبَّلَ يَدَ ٱلْمَلِكِ وَقَالَ: أَبَتِ ٱلْيَاقُوتَةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي
ٱلْجَبَلِ ٱلْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِيئَةً كَٱلسِّرَاجِ. وَٱبْنُكَ هٰذَا جَوْهَرَةٌ.
فَمَا تَمْنَعُهُ حَدَاثَتُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا. وَٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ. وَأَنَا
إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَنْطِقُهُ بِمَا عِنْدَهُ فِي مَجْمَعٍ أَجْمَعُهُ
لَهُ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأُمَرَاءِ: فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ كَلَامَ شِمَاسٍ أَمَرَ
جَهَابِذَةَ ٱلْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاءَ ٱلْفُضَلَاءِ وَمَهَرَةَ ٱلْحُكَمَاءِ أَنْ يَحْضُرُوا إِلَى
قَصْرِ ٱلْمَلِكِ فِي غَدٍ. فَحَضَرُوا جَمِيعًا. فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ
أَذِنَ لَهُمْ بِٱلدُّخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شِمَاسٌ ٱلْوَزِيرُ. وَعِنْدَ ذٰلِكَ صَارَ ٱمْتِحَانُ
ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ (وَهَا نَحْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئِلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ ٱمْتُحِنَ بِهَا فَأَجَابَ
عَلَيْهَا أَحْسَنَ جَوَابٍ)

قَالَ شِمَاسٌ لِلْغُلَامِ: أَخْبِرْنِي هَلْ
تَسْتَقِيمُ آخِرَةٌ بِغَيْرِ دُنْيَا. قَالَ ٱلْغُلَامُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ

لَهُ . وَلٰكِنْ رَأَيْتُ ٱلدُّنْيَا وَأَهْلَهَا وَٱلْمَعَادَ ٱلَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ كَمَثَلِ أَهْلِ تِلْكَ ٱلضِّيَاعِ ٱلَّذِينَ ٱبْتَنَى لَهُمْ أَمِيرٌ بَيْتًا ضَيِّقًا وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ . وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ شَخْصًا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أُمِرَ بِهِ أَخْرَجَهُ ٱلشَّخْصُ ٱلْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلضِّيقِ . وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أُمِرَ بِهِ وَقَدِ ٱنْقَضَى ٱلْأَجَلُ ٱلْمَضْرُوبُ لَهُ عُوقِبَ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ رَشَحَ لَهُمْ مِنْ شُقُوقِ ٱلْبَيْتِ عَسَلٌ . فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ ٱلْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ . تَوَانَوْا فِي ٱلْعَمَلِ ٱلَّذِي أُمِرُوا بِهِ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ . وَصَبَرُوا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلضِّيقِ وَٱلْغَمِّ مَعَ مَا عَلِمُوا مِنْ تِلْكَ ٱلْعُقُوبَةِ ٱلَّتِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهَا . وَقَنِعُوا بِتِلْكَ ٱلْحَلَاوَةِ ٱلْيَسِيرَةِ . وَصَارَ ٱلْمُوَكَّلُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ إِلَّا وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ . فَعَرَفْنَا أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارٌ تَتَحَيَّرُ فِيهَا ٱلْأَبْصَارُ وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا ٱلْآجَالُ . فَمَنْ وَجَدَ ٱلْحَلَاوَةَ ٱلْقَلِيلَةَ ٱلَّتِي تَكُونُ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا كَانَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ . حَيْثُ آثَرَ أَمْرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ . وَمَنْ يُؤْثِرْ أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ ٱلْحَلَاوَةِ ٱلْقَلِيلَةِ كَانَ مِنَ ٱلْفَائِزِينَ

قَالَ شَمَّاسُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَقَبِلْتُ ذٰلِكَ مِنْكَ وَلٰكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمَا مُسَلَّطَيْنِ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهِمَا مَعًا . وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ . فَإِنْ أَقْبَلَ ٱلْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ

الْمَعِيشَةِ فَذَلِكَ إِضْرَارٌ بِرُوحِهِ فِي الْمَعَادِ . وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ كَانَ ذَلِكَ إِضْرَارًا بِجَسَدِهِ . وَلَيْسَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَاءِ الْمُتَخَالِفَيْنِ مَعًا

قَالَ الْغُلَامُ : إِنَّهُ مَنْ حَصَّلَ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا تُقَوِّيهِ عَلَى الْآخِرَةِ . فَإِنِّي رَأَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلَ مَلِكَيْنِ عَادِلٍ وَجَائِرٍ . وَكَانَتْ أَرْضُ الْمَلِكِ الْجَائِرِ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَنَبَاتٍ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَدَعُ أَحَدًا مِنَ التُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتِجَارَتَهُ . وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى ذَلِكَ لِمَا يُصِيبُونَ مِنْ خِصْبِ تِلْكَ الْأَرْضِ فِي الْمَعِيشَةِ . وَأَمَّا الْمَلِكُ الْعَادِلُ فَإِنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ . وَأَعْطَاهُ مَالًا وَافِرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ الْمَلِكِ الْجَائِرِ لِيَبْتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَانْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْمَالِ حَتَّى دَخَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ . فَقِيلَ لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ يَبْتَاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي وَمَا حَاجَتُكَ : فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا . وَإِنَّ مَلِكَ تِلْكَ الْأَرْضِ أَعْطَانِي مَالًا وَأَمَرَنِي أَنْ أَبْتَاعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هٰذِهِ الْأَرْضِ . فَامْتَثَلْتُ أَمْرَهُ وَجِئْتُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَيْحَكَ . أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ أَنِّي آخُذُ مَالَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ . وَهَا أَنْتَ مُقِيمٌ بِأَرْضِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا : فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : إِنَّ الْمَالَ لَيْسَ لِي مِنْهُ

شيء. وإنما هو أمانة تحت يدي حتى أوصله لصاحبه. فقال له: إني لست بتاركك تأخذ معيشتك من أرضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه. فقال الرجل في نفسه: قد وقعت بين ملكين. وقد علمت أن جور هذا الملك عام على من أقام بأرضه. فإن لم أرضه كان هلاكي وذهاب المال لا بد منهما ولم أصب حاجتي. وإن أعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لا بد منه وليس لي حيلة سوى أني أعطيه من هذا المال جزءاً يسيراً وأرضيه به وأدفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك. وأصيب من خصب هذه الأرض قوت نفسي حتى أبتاع ما أريد من الجواهر. وأكون قد أرضيته بما أعطيته وآخذ نصيبي من أرضه هذه. وأتوجه إلى صاحب المال بحاجته. فإني أرجو من عدله وتجاوزه ما لا أخاف معه عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال. خصوصاً إذا كان يسيراً. ثم إن التاجر دعا للملك وقال له: أيها الملك أنا أفتدي نفسي بجزء صغير من هذا المال منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها. فقبل الملك منه ذلك وخلى سبيله سنة. فاشترى الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق إلى صاحبه

فالملك العادل مثال للآخرة. والجواهر التي بأرض الملك الجائر مثال للحسنات والعمل الصالح. والرجل صاحب المال مثال لمن طلب الدنيا. والمال الذي معه مثال لحياة الإنسان.

فلمّا رأيتُ ذلكَ علمتُ أنهُ ينبغي لمن يطلبُ المعيشةَ في الدُّنيا أن لا يُخلي يوماً عن طلبِ الآخرةِ . فيكونُ قد أرضى الدُّنيا بما نالهُ من خصبِ الأرضِ . وأرضى الآخرةَ بما يصرفُ من حياتهِ في طلبها

قالَ شمّاسُ : فأخبرني هلِ الجسدُ والروحُ سواءٌ في الثوابِ والعقابِ . أو إنّما يختصُّ بالعقابِ صاحبُ الشهواتِ وفاعلُ الخطيّاتِ

قالَ الغلامُ : قد يكونُ الميلُ إلى الشهواتِ والخطيّاتِ موجباً للثوابِ بحبسِ النفسِ عنها والتوبةِ منها . والأمرُ بيدِ من يفعلُ ما يشاءُ وبضدّها تتميّزُ الأشياءُ . على أنَّ المعاشَ لا بُدَّ منهُ للجسدِ . ولا جسدَ إلّا بالروحِ . وطهارةُ الروحِ بإخلاصِ النيّةِ في الدُّنيا والالتفاتِ إلى ما ينفعُ في الآخرةِ . فهما فرسا رهانٍ ورضيعا لبانٍ . ومشتركانِ في الأعمالِ . وباعتبارِ النيّةِ تفصيلُ الإجمالِ . وكذلكَ الجسدُ والروحُ مشتركانِ في الأعمالِ . وفي الثوابِ والعقابِ . وذلكَ مثلُ الأعمى والمقعدِ اللذَينِ أخذهما رجلٌ صاحبُ بستانٍ وأدخلهما بستانهُ وأمرهما أن لا يُفسدا فيهِ ولا يصنعا فيهِ أمراً يضرُّ بهِ . فلمّا طابت أثمارُ البستانِ قالَ المقعدُ للأعمى : ويحكَ إنّي أرى أثماراً طيّبةً وقد اشتهيتها ولستُ أقدرُ على القيامِ إليها لآكلَ منها . فقم أنتَ لأنّكَ صحيحُ الرجلَينِ . وائتنا منها بما نأكلُ : فقالَ الأعمى : ويحكَ . قد ذكرتها لي

وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ . لِأَنِّي لَسْتُ أُبْصِرُهَا . فَمَا ٱلْحِيلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذٰلِكَ : فَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ . إِذْ أَتَاهُمَا ٱلنَّاظِرُ عَلَى ٱلْبُسْتَانِ . وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا . فَقَالَ لَهُ ٱلْمُقْعَدُ : وَيْحَكَ . يَانَاظِرُ . إِنَّا قَدِ ٱشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلثِّمَارِ . وَنَحْنُ كَمَا تَرَى أَنَا مُقْعَدٌ وَصَاحِبِي هٰذَا أَعْمَى لَا يُبْصِرُ شَيْئًا فَمَا حِيلَتُنَا

فَقَالَ لَهُمَا ٱلنَّاظِرُ : وَيْحَكُمَا أَلَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَكُمَا عَلَيْهِ صَاحِبُ ٱلْبُسْتَانِ . مِنْ أَنَّكُمَا لَا تَتَعَرَّضَانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِيهِ ٱلْفَسَادَ . فَٱنْتَهِيَا وَلَا تَفْعَلَا : فَقَالَا لَهُ : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ مِنْ هٰذِهِ ٱلثِّمَارِ مَا نَأْكُلُهُ . فَأَخْبِرْنَا بِمَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلْحِيلَةِ : فَلَمَّا لَمْ يَنْتَهِيَا عَنْ رَأْيِهِمَا قَالَ لَهُمَا : ٱلْحِيلَةُ فِي ذٰلِكَ أَنْ يَقُومَ ٱلْأَعْمَى وَيَحْمِلَكَ أَيُّهَا ٱلْمُقْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ وَيُدْنِيَكَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي تُعْجِبُكَ أَثْمَارُهَا . حَتَّى إِذَا أَدْنَاكَ مِنْهَا تَجْنِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ ٱلثِّمَارِ . فَقَامَ ٱلْأَعْمَى وَحَمَلَ ٱلْمُقْعَدَ . وَجَعَلَ ٱلْمُقْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى ٱلسَّبِيلِ حَتَّى أَدْنَاهُ إِلَى شَجَرَةٍ فَصَارَ ٱلْمُقْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ . وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ دَأْبَهُمَا حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي ٱلْبُسْتَانِ مِنَ ٱلشَّجَرِ . وَإِذَا بِصَاحِبِ ٱلْبُسْتَانِ قَدْ جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا : وَيْحَكُمَا مَا هٰذِهِ ٱلْفِعَالُ . أَلَمْ أُعَاهِدْكُمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا فِي هٰذَا ٱلْبُسْتَانِ . فَقَالَا لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّنَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ لِأَنَّ أَحَدَنَا مُقْعَدٌ لَا يَقُومُ وَٱلْآخَرَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَمَا ذَنْبُنَا

فقال لهما صاحب البستان: لعلكما تظنان أني لست أدري كيف صنعتما وكيف أفسدتما في بستاني. كأني بك أيها الأعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته إلى الشجر. ثم إنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة وأخرجهما من البستان

فالأعمى مثال للجسد. لأنه لا يبصر إلا بالنفس والمقعد مثال للنفس التي لا حركة لها إلا بالجسد. وأما البستان فإنه مثال للعمل الذي يجازى به العبد. والناظر مثال العقل الذي يأمر بالخير وينهى عن الشر. فالروح والجسد مشتركان في العقاب والثواب

قال شماس: صدقت وقد قبلت منك ذلك. فأخبرني عن العالم العليم ذي الرأي السديد. والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق. هل يغيره الهوى والشهوة عن هذه الحالات التي ذكرت

قال الغلام: إن هاتين الخصلتين إذا دخلتا على الرجل غيرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه. وكان مثله مثل العقاب الكاسر المحاذر عن القنص المقيم في جو السماء لفرط حذقه. فبينما هو كذلك إذ نظر رجلا صيادا قد نصب شركه. فلما فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيه قطعة لحم. فعند ذلك أبصر العقاب قطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهد من الشرك ومن سوء الحال لكل ما وقع من الطائر. فانقض من جو

ٱلسَّمَاءِ . حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ ٱللَّحْمِ فَٱشْتَبَكَ فِي ٱلشَّرَكِ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيَّادُ رَأَى ٱلْعُقَابَ فِي شَرَكِهِ . فَتَعَجَّبَ عَجَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَنَا نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَمَامٌ أَوْ نَحْوُهُ مِنَ ٱلطُّيُورِ ٱلضَّعِيفَةِ . فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهِ هٰذَا ٱلْعُقَابُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَتَدَبَّرُ عَاقِبَةَ ذٰلِكَ ٱلْأَمْرِ بِعَقْلِهِ . فَيَمْتَنِعُ مِمَّا حَسَّنَاهُ . وَيَقْهَرُ بِعَقْلِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ . فَإِذَا حَمَلَهُ ٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَنْبَغِي أَنْ يَجْعَلَ ٱلْعَقْلَ مِثْلَ ٱلْفَارِسِ ٱلْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ . إِذَا رَكِبَ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَرْعَنَ فَإِنَّهُ يَجْذِبُهُ بِٱللِّجَامِ ٱلشَّدِيدِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ . وَيَمْضِي مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ . وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ وَٱلْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ عَلَيْهِ وَٱلْهَوَى وَٱلشَّهْوَةُ مُسَلَّطَانِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ فَيَكُونُ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ وَلَا يَكُونُ فِي ٱلنَّاسِ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي ٱلْإِجَابَةِ قَالَ شَمَّاسُ لِلْمَلِكِ جَلِيعَادَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْتَ مَلِكُنَا وَلٰكِنْ نُحِبُّ أَنْ تَعْهَدَ لِوَلَدِكَ بِٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِكَ وَنَحْنُ ٱلْخَوَلُ وَٱلرَّعِيَّةُ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ حَثَّ ٱلْمَلِكُ مَنْ حَضَرَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلنَّاسِ عَلَى أَنَّ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ . وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْتَثِلُوا أَمْرَ ٱبْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ لِيَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى مُلْكِ وَالِدِهِ . وَأَخَذَ ٱلْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلشُّجْعَانِ وَٱلشُّيُوخِ وَٱلصِّبْيَانِ وَبَقِيَّةِ ٱلنَّاسِ أَنْ لَا يَتَخَالَفُوا عَلَيْهِ

وَلَا يَنْكُثُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُ . فَلَمَّا أَتَى عَلَى ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَرِضَ ٱلْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى ٱلْمَوْتِ . فَلَمَّا أَيْقَنَ ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ قَالَ لِأَهْلِهِ : هٰذَا دَاءُ ٱلْمَوْتِ قَدْ نَزَلَ بِي . فَٱدْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَٱجْمَعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي . حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحْضُرُ . فَخَرَجُوا وَنَادَوُا ٱلنَّاسَ ٱلْقَرِيبِينَ وَأَجْهَرُوا بِٱلنِّدَاءِ لِلنَّاسِ ٱلْبَعِيدِينَ حَتَّى حَضَرُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى ٱلْمَلِكِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ هٰذَا . قَالَ لَهُمُ ٱلْمَلِكُ : إِنَّ مَرَضِي هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ ٱلسَّهْمُ بِمَا قَدَّرَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَلَيَّ . وَأَنَا ٱلْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ ٱلْآخِرَةِ . ثُمَّ قَالَ لِٱبْنِهِ : ٱدْنُ مِنِّي فَدَنَا مِنْهُ ٱلْغُلَامُ وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ يَبُلَّ فِرَاشَهُ . وَٱلْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ . ثُمَّ قَالَ ٱلْمَلِكُ لِوَلَدِهِ : لَا تَبْكِ يَا ٱبْنِي . فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى لَهُ هٰذَا ٱلْمَحْتُومُ لِأَنَّهُ سَائِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَقَهُ ٱللّٰهُ . وَٱعْمَلْ خَيْرًا يَسْبِقْكَ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي تَقْصِدُهُ جَمِيعُ ٱلْخَلَائِقِ . وَلَا تُطِعِ ٱلْهَوَى وَٱشْغَلْ نَفْسَكَ بِذِكْرِ ٱللّٰهِ فِي قِيَامِكَ وَقُعُودِكَ وَيَقْظَتِكَ وَنَوْمِكَ . وَٱجْعَلِ ٱلْحَقَّ نُصْبَ عَيْنَيْكَ . وَهٰذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ وَٱلسَّلَامُ

فَقَالَ ٱلْغُلَامُ لِأَبِيهِ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ . أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا . وَلِوَصِيَّتِكَ حَافِظًا وَلِأَمْرِكَ مُنَفِّذًا وَلِرِضَاكَ طَالِبًا . وَأَنْتَ لِي نِعْمَ

ٱلْأَبُ فَكَيْفَ أَخْرُجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ . وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ تَرْبِيَتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ . فَإِذَا حَفِظْتُ وَصِيَّتَكَ صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي ٱلنَّصِيبُ ٱلْأَكْبَرُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ وَهُوَ فِي غَايَةِ ٱلْٱسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ : يَا بُنَيَّ ٱلْزَمْ عَشْرَ خِصَالٍ يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَهُنَّ : إِذَا ٱغْتَظْتَ فَٱكْظِمْ غَيْظَكَ . وَإِذَا بُلِيتَ فَٱصْبِرْ . وَإِذَا نَطَقْتَ فَٱصْدُقْ . وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ . وَإِذَا حَكَمْتَ فَٱعْدِلْ . وَإِذَا قَدَرْتَ فَٱعْفُ . وَأَكْرِمْ قُوَّادَكَ . وَٱصْفَحْ عَنْ أَعْدَائِكَ . وَٱبْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ . وَكُفَّ أَذَاكَ عَنْهُ . وَٱلْزَمْ أَيْضًا عَشْرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ ٱللهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ وَهِيَ : إِذَا قَسَمْتَ فَٱعْدِلْ . وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقٍّ فَلَا تَتَجَبَّرْ . وَإِذَا عَاهَدْتَ فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ . وَٱقْبَلِ ٱلنُّصْحَ . وَٱتْرُكِ ٱللَّجَاجَةَ . وَٱلْزَمِ ٱلرَّعِيَّةَ بِٱلْٱسْتِقَامَةِ عَلَى ٱلشَّرَائِعِ وَٱلسُّنَنِ ٱلْحَمِيدَةِ . وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى يُحِبَّكَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافَكَ عَاتِيهِمْ وَمُفْسِدُهُمْ . ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأُمَرَاءِ ٱلَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لِوَلَدِهِ بِٱلْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ : إِيَّاكُمْ وَمُخَالَفَةَ أَمْرِ مَلِكِكُمْ وَتَرْكَ ٱلْٱسْتِمَاعِ لِكَبِيرِكُمْ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ هَلَاكًا لِأَرْضِكُمْ وَتَفْرِيقًا لِجَمْعِكُمْ وَضَرَرًا لِأَبْدَانِكُمْ وَتَلَفًا لِأَمْوَالِكُمْ فَتَشْمَتَ بِكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ . وَهَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ فَهٰكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ هٰذَا ٱلْغُلَامِ وَٱلْمِيثَاقُ ٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . وَعَلَيْكُمْ بِٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ

لأمره . لأن في ذلك صلاح أحوالكم . واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلامة . ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتجم لسانه . فضم ابنه إليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه . وطلعت روحه . فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته . ثم إنهم كفنوه ودفنوه بإكرام وتبجيل وإعظام . ثم رجعوا والغلام معهم . فألبسوه حلة الملك وتوجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في أصبعه وأجلسوه على سرير الملك . فسار الغلام فيهم بسيرة أبيه بالحلم والعدل والإحسان مدة يسيرة . ثم تعرضت له الدنيا وجذبته بشهواتها . فاستغنم لذاتها وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلده أبوه من المواثيق . ونبذ الطاعة لوالده وأهمل مملكته . ومشى في ما فيه هلاكه مدة من الزمان . إلا أنه بعد عسفه عاد إلى حسن السيرة والسياسة . وهذا ما انتهى إليه أمر الملك جليعاد وولده . والحمد لله لا ينتهي

حكاية الطيور والوحوش
مع ابن آدم

زعموا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان . طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته . وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش . غير أنه كثير الأشجار

وَٱلْأَنْهَارِ. وَذٰلِكَ ٱلطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَأْوِيَانِ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ
ٱلْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهِمَا مِنَ ٱلْوُحُوشِ وَيَغْدُوَانِ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْقِ
نَهَارًا. وَلَمْ يَزَالَا كَذٰلِكَ حَتَّى كَثُرَ خَوْفُهُمَا فَسَارَا يَبْغِيَانِ مَوْضِعًا
غَيْرَ مَوْضِعِهِمَا يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ. فَبَيْنَمَا هُمَا يُفَتِّشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ
لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَنْهَارِ. فَنَزَلَا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَأَكَلَا
مِنْ أَثْمَارِهَا وَشَرِبَا مِنْ أَنْهَارِهَا. فَبَيْنَمَا هُمَا كَذٰلِكَ إِذَا بِبَطَّةٍ أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِمَا وَهِيَ فِي شِدَّةِ ٱلْفَزَعِ. وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى أَتَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ
ٱلَّتِي عَلَيْهَا ٱلطَّاوُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فَٱطْمَأَنَّتْ. فَلَمْ يَشُكَّ ٱلطَّاوُوسُ
فِي أَنَّ تِلْكَ ٱلْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ. فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ
خَوْفِهَا فَقَالَتْ: إِنَّنِي مَرِيضَةٌ مِنَ ٱلْحُزْنِ وَخَوْفِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَحَذَارِ
حَذَارِ مِنْ بَنِي آدَمَ: فَقَالَ لَهَا ٱلطَّاوُوسُ: لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلْتِ إِلَيْنَا.
فَقَالَتِ ٱلْبَطَّةُ: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي فَرَّجَ هَمِّي وَغَمِّي بِقُرْبِكُمَا وَقَدْ أَتَيْتُ
رَاغِبَةً فِي مَوَدَّتِكُمَا. فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ كَلَامِهَا نَزَلَتْ إِلَيْهَا زَوْجَةُ
ٱلطَّاوُوسِ وَقَالَتْ لَهَا: أَهْلًا وَسَهْلًا لَا بَأْسَ عَلَيْكِ. وَمِنْ أَيْنَ يَصِلُ
إِلَيْنَا ٱبْنُ آدَمَ وَنَحْنُ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلَّتِي فِي وَسَطِ ٱلْبَحْرِ. فَمِنَ
ٱلْبَرِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا. وَمِنَ ٱلْبَحْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا
فَأَبْشِرِي وَحَدِّثِينَا بِٱلَّذِي نَزَلَ بِكِ وَٱعْتَرَاكِ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَقَالَتِ
ٱلْبَطَّةُ: اعْلَمِي أَيَّتُهَا ٱلطَّاوُوسَةُ أَنَّنِي فِي هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ طُولَ عُمْرِي
آمِنَةً لَا أَرَى مَكْرُوهًا. فَنِمْتُ لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي فَرَأَيْتُ صُورَةَ

ٱبْنَ آدَمَ وَهُوَ يُخَاطِبُنِي وَأُخَاطِبُهُ وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ لِي : أَيَّتُهَا ٱلْبَطَّةُ . ٱحْذَرِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . وَلَا تَغْتَرِّي بِكَلَامِهِ . وَلَا بِمَا يُدْخِلُهُ عَلَيْكِ . فَإِنَّهُ كَثِيرُ ٱلْحِيَلِ وَٱلْخِدَاعِ . فَٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ . كَمَا قَالَ فِيهِ ٱلشَّاعِرُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ ٱللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ ٱلثَّعْلَبُ

وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى ٱلْحِيتَانِ فَيُخْرِجُهَا مِنَ ٱلْبِحَارِ . وَيَرْمِي ٱلطَّيْرَ بِبُنْدُقَةٍ مِنْ طِينٍ . وَيُوقِعُ ٱلْفِيلَ بِمَكْرِهِ . وَٱبْنُ آدَمَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِ وَلَا يَنْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ . وَقَدْ بَلَّغْتُكِ مَا سَمِعْتُهُ عَنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَٱسْتَيْقَظْتُ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرْعُوبَةً . وَأَنَا إِلَى ٱلْآنَ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ لِئَلَّا يَدْهَمَنِي بِحِيلَتِهِ وَيَصِيدَنِي بِحَبَائِلِهِ . وَلَمْ يَأْتِ عَلَيَّ آخِرُ ٱلنَّهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي . وَبَطَلَتْ هِمَّتِي . ثُمَّ إِنِّي ٱشْتَقْتُ إِلَى ٱلْأَكْلِ وَٱلشُّرْبِ . فَخَرَجْتُ أَتَمَشَّى وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شِبْلاً أَصْفَرَ ٱللَّوْنِ . فَلَمَّا رَآنِي ذٰلِكَ ٱلشِّبْلُ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي وَكَوْنِي لَطِيفَةَ ٱلذَّاتِ . فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي : ٱقْرُبِي مِنِّي . فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قَالَ لِي : مَا ٱسْمُكِ وَمَا جِنْسُكِ . فَقُلْتُ لَهُ : ٱسْمِي بَطَّةٌ وَأَنَا مِنْ جِنْسِ ٱلطُّيُورِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْوَقْتِ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَقَالَ ٱلشِّبْلُ : سَبَبُ ذٰلِكَ أَنَّ وَالِدِي ٱلْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ

وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَٱتَّفَقَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ فِي مَنَامِي صُورَةَ ٱبْنِ آدَمَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَيْتُهُ لَكِ فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ: إِنِّي قَدْ لَجَأْتُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تَقْتُلَ ٱبْنَ آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا وَٱزْدَدْتُ خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سُلْطَانُ ٱلْوُحُوشِ . وَمَا زِلْتُ يَا أُخْتِي أُحَذِّرُ ٱلشِّبْلَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَأُوصِيهِ بِقَتْلِهِ حَتَّى قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي كَانَ فِيهِ وَتَمَشَّى وَتَمَشَّيْتُ وَرَاءَهُ . فَقَرْقَعَ بِذَنَبِهِ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْشِي وَرَاءَهُ إِلَى مَفْرِقِ ٱلطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبَرَةً طَارَتْ وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ وَهُوَ تَارَةً يَتَمَصَّرُ وَيَجْرِي وَتَارَةً يَتَمَرَّغُ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْحَيَوَانُ ٱلْخَرِفُ ٱلْعَقْلِ . مَا جِنْسُكَ وَمَا سَبَبُ قُدُومِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ . فَقَالَ لَهُ: يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ أَنَا جِنْسِي حِمَارٌ وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ هَرَبِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ: وَهَلْ أَنْتَ خَائِفٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ أَنْ يَقْتُلَكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ: لَا يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكَبَنِي . لِأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلْبَرْذَعَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلْحِزَامَ . فَيَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱللِّجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي . وَيَعْمَلُ لِي مِنْخَاسًا يَنْخُسُنِي بِهِ وَيُكَلِّفُنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ ٱلْجَرْيِ .

وَإِذَا عَـثَرْتُ لَعَنَنِي وَإِنْ نَهَقْتُ شَتَمَنِي. وَبَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا كَبِرْتُ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْجَرْيِ يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنَ ٱلْخَشَبِ وَيُسَلِّمُنِي إِلَى ٱلسَّقَّائِينَ فَيَحْمِلُونَ ٱلْمَاءَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ ٱلْبَحْرِ فِي ٱلْقِرَبِ وَنَحْوِهَا كَالْجِرَارِ وَلَا أَزَالُ فِي ذُلٍّ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ ٱلتِّلَالِ لِلْكِلَابِ. فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذَا ٱلْهَمِّ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَصَائِبِ

فَلَمَّا سَمِعْتُ أَيَّتُهَا ٱلطَّاوُوسَةُ كَلَامَ ٱلْحِمَارِ ٱقْشَعَرَّ جَسَدِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَقُلْتُ لِلشِّبْلِ: يَا سَيِّدِي إِنَّ ٱلْحِمَارَ مَعْذُورٌ. وَقَدْ زَادَنِي كَلَامُهُ رُعْبًا عَلَى رُعْبِي. فَقَالَ ٱلشِّبْلُ لِلْحِمَارِ: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ. فَقَالَ لَهُ ٱلْحِمَارُ: إِنِّي نَظَرْتُ ٱبْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ ٱلشَّمْسِ مِنْ بَعِيدٍ. فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ. وَهَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ. وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعًا يَأْوِينِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ ٱلْغَدَّارِ

فَبَيْنَمَا ذٰلِكَ ٱلْحِمَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي ذٰلِكَ ٱلْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُوَدِّعَنَا وَيَرُوحَ إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبَرَةٌ. وَنَظَرَ ٱلْحِمَارُ بِعَيْنِهِ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلْغَبَرَةِ فَنَهَقَ وَصَاحَ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ عَنْ فَرَسٍ أَدْهَمَ بِغُرَّةٍ كَالدِّرْهَمِ. وَذٰلِكَ ٱلْفَرَسُ ظَرِيفُ ٱلْغُرَّةِ مَلِيحُ ٱلتَّحْجِيلِ حَسَنُ ٱلْقَوَائِمِ وَٱلصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلشِّبْلِ ٱبْنِ ٱلْأَسَدِ. فَلَمَّا رَآهُ ٱلشِّبْلُ ٱسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا جِنْسُكَ أَيُّهَا ٱلْوَحْشُ ٱلْجَلِيلُ. وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هٰذَا ٱلْبَرِّ ٱلْعَرِيضِ ٱلطَّوِيلِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ . أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ ٱلْخَيْلِ . وَسَبَبُ شُرُودِي هَرَبِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَتَعَجَّبَ ٱلشِّبْلُ مِنْ كَلَامِ ٱلْفَرَسِ وَقَالَ لَهُ: لَا تَقُلْ هٰذَا ٱلْكَلَامَ فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ . وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيظٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ مَعَ عِظَمِ جُثَّتِكَ . وَسُرْعَةِ جَرْيِكَ . وَأَنَا مَعَ صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَقِيَ مَعَ ٱبْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ وَآكُلَ لَحْمَهُ وَأُسَكِّنَ رَوْعَ هٰذِهِ ٱلْبَطَّةِ ٱلْمِسْكِينَةِ وَأُقِرَّهَا فِي وَطَنِهَا . وَهَا أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ وَأَرْجَعْتَنِي عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ . فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مَعَ عِظَمِكَ قَدْ قَهَرَكَ ٱبْنُ آدَمَ وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طُولِكَ وَعَرْضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيهِ كَأْسَ ٱلرَّدَى . فَضَحِكَ ٱلْفَرَسُ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَ ٱلشِّبْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ . فَلَا يَغُرَّكَ طُولِي وَلَا عَرْضِي وَلَا ضَخَامَتِي مَعَ ٱبْنِ آدَمَ . لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِيَلِهِ وَمَكْرِهِ يَصْنَعُ لِي شَيْئًا يُقَالُ لَهُ ٱلشِّكَالُ . وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَالَيْنِ مِنْ حِبَالِ ٱللِّيفِ ٱلْمَلْفُوفَةِ بِٱللِّبَادِ وَيَصْلُبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتَدٍ عَالٍ وَأَبْقَى وَاقِفًا وَأَنَا مَصْلُوبٌ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنَامَ . وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلَيْهِ مِنَ ٱلْحَدِيدِ ٱسْمُهُ ٱلرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي شَيْئًا يُسَمِّيهِ ٱلسَّرْجَ وَيَشُدُّهُ بِحِزَامَيْنِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَمِي شَيْئًا مِنَ ٱلْحَدِيدِ يُسَمِّيهِ ٱللِّجَامَ وَيَضَعُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ ٱلْجِلْدِ يُسَمِّيهِ ٱلصَّرَعَ . فَإِذَا رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِي عَلَى ٱلسَّرْجِ يُمْسِكُ ٱلصَّرَعَ بِيَدِهِ وَيَقُودُنِي

بِهِ وَيَهْمِزُنِي بِالرِّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى يُدْمِيَهَا . وَلَا تَسْأَلْ يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ عَمَّا أُقَاسِيهِ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَإِذَا كَبُرْتُ وَٱنْتَحَلَ ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ ٱلْجَرْيِ يَبِيعُنِي لِلطَّحَّانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي ٱلطَّاحُونِ . فَلَا أَزَالُ دَائِرًا فِيهَا لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَسْلَخُ جِلْدِي وَيَنْتِفُ ذَنَبِي وَيَبِيعُهُمَا لِلْغَرَابِلِيِّ وَٱلْمَنَاخِلِيِّ وَيَسْلَأُ شَحْمِي

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَ ٱلْفَرَسِ ٱزْدَادَ غَيْظًا وَغَمًّا وَقَالَ لَهُ : مَتَى فَارَقْتَ ٱبْنَ آدَمَ . قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ ٱلنَّهَارِ وَهُوَ فِي أَثَرِي . فَبَيْنَمَا ٱلشِّبْلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلْفَرَسِ بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ إِذَا بِغَبَرَةٍ ثَارَتْ . وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يَبْعَبِعُ وَيَخْبِطُ بِرِجْلَيْهِ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ كَذٰلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا . فَلَمَّا رَآهُ ٱلشِّبْلُ كَبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ٱبْنُ آدَمَ فَأَرَادَ ٱلْوُثُوبَ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . إِنَّ هٰذَا مَا هُوَ ٱبْنُ آدَمَ وَإِنَّمَا هٰذَا جَمَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ . فَبَيْنَمَا أَنَا يَا أُخْتِي مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ وَإِذَا بِٱلْجَمَلِ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِي ٱلشِّبْلِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ وَقَالَ لَهُ : مَا سَبَبُ مَجِيئِكَ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ : قَالَ : جِئْتُ هَارِبًا مِنِ ٱبْنِ آدَمَ : قَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ : وَأَنْتَ مَعَ عِظَمِ خِلْقَتِكَ وَطُولِكَ وَعَرْضِكَ كَيْفَ تَخَافُ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ رَفْسَةً لَقَتَلْتَهُ : فَقَالَ لَهُ ٱلْجَمَلُ : يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ . ٱعْلَمْ أَنَّ ٱبْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تُطَاقُ وَمَا

يَغْلِبُهُ إِلَّا ٱلْمَوْتُ. لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَنْفِي خَيْطًا وَيُسَمِّيهِ خِزَامًا وَيَجْعَلُ فِي رَأْسِي مِقْوَدًا وَيُسَلِّمُنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَجُرُّنِي ٱلْوَلَدُ ٱلصَّغِيرُ بِٱلْخَيْطِ مَعَ كِبَرِي وَعِظَمِي وَيُحَمِّلُونِي أَثْقَلَ ٱلْأَحْمَالِ وَيُسَافِرُونَ بِي ٱلْأَسْفَارَ ٱلطِّوَالَ وَيَسْتَعْمِلُونَنِي فِي ٱلْأَشْغَالِ ٱلشَّاقَّةِ آنَاءَ ٱللَّيْلِ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ. وَإِذَا كَبِرْتُ وَشِخْتُ أَوِ ٱنْكَسَرْتُ فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبِيعُنِي لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحُنِي وَيَبِيعُ جِلْدِي لِلدَّبَّاغِينَ وَلَحْمِي لِلطَّبَّاخِينَ. وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا أُقَاسِي مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ: أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ٱبْنَ آدَمَ. فَقَالَ: فَارَقْتُهُ وَقْتَ ٱلْغُرُوبِ. وَأَظُنُّهُ يَأْتِي عِنْدَ ٱنْصِرَافِي فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعَى فِي طَلَبِي. فَدَعْنِي يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ حَتَّى أَهُجَّ فِي ٱلْبَرَارِيِّ وَٱلْقِفَارِ. فَقَالَ ٱلشِّبْلُ: تَمَهَّلْ قَلِيلًا يَا جَمَلُ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأَهْشِمُ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ: فَقَالَ لَهُ ٱلْجَمَلُ: يَا ٱبْنَ ٱلسُّلْطَانِ. أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَاكِرٌ. ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ ٱلثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ   فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى ٱلرَّحِيلِ

فَبَيْنَمَا ٱلْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ ٱلشِّبْلِ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ. وَإِذَا بِغَبَرَةٍ طَلَعَتْ وَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَقِيقِ ٱلْبَشَرَةِ عَلَى كَتِفِهِ مِقْطَفٌ فِيهِ عُدَّةُ نَجَّارٍ وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَثَمَانِيَةُ أَلْوَاحٍ وَبِيَدِهِ أَقْفَالٌ صِغَارٌ وَهُوَ يُهَرْوِلُ فِي مَشْيِهِ وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرُبَ مِنَ ٱلشِّبْلِ. فَلَمَّا رَأَيْتُهُ يَا أُخْتِي. وَقَعْتُ مِنْ شِدَّةِ

الْخَوْفِ . وَأَمَّا الشِّبْلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ النَّجَّارُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ . صَاحِبُ الْبَاعِ الطَّوِيلِ . أَسْعَدَ اللّٰهُ مَسَاكَ وَمَسْعَاكَ . وَزَادَ فِي شَجَاعَتِكَ وَقُوَاكَ . أَجِرْنِي مِمَّا دَهَانِي . وَبِشَرِّهِ رَمَانِي . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ وَبَكَى . وَأَنَّ وَاشْتَكَى . فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ بُكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ قَالَ لَهُ : أَجَرْتُكَ مِمَّا تَخْشَاهُ . فَمَنِ الَّذِي قَدْ ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا الْوَحْشُ . الَّذِي مَا رَأَيْتُ عُمْرِي مِثْلَكَ . وَلَا أَحْسَنَ صُورَةً . وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَمَا شَأْنُكَ . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ : أَمَّا أَنَا فَنَجَّارٌ : وَأَمَّا الَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ ابْنُ آدَمَ وَفِي صَبَاحِ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هٰذَا الْمَكَانِ . فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ مِنَ النَّجَّارِ هٰذَا الْكَلَامَ . تَبَدَّلَ الضِّيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِالظَّلَامِ . وَشَخَرَ وَنَخَرَ وَارْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِالشَّرَرِ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَاللّٰهِ لَأَسْهَرَنَّ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَا أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي : ثُمَّ إِنَّ الشِّبْلَ الْتَفَتَ إِلَى النَّجَّارِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى خُطُوَاتِكَ قَصِيرَةً وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْسِرَ بِخَاطِرِكَ لِأَنِّي ذُو مُرُوَّةٍ وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تُمَاشِيَ الْوُحُوشَ . فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ : اعْلَمْ أَنَّنِي رَائِحٌ إِلَى وَزِيرِ وَالِدِكَ الْفَهْدِ . لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ دَاسَ هٰذِهِ الْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَأَرْسَلَ

إلَيَّ رَسُولاً مِنَ ٱلْوُحُوشِ لِأَصْنَعَ لَهُ بَيْتاً يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ. فَلَمَّا جَاءَنِي ٱلرَّسُولُ أَخَذْتُ هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَ ٱلنَّجَّارِ أَخَذَهُ ٱلْحَسَدُ لِلْفَهْدِ. فَقَالَ لَهُ: بِحَيَاتِي لَا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ بَيْتاً قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ. وَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي فَٱمْضِ إِلَى ٱلْفَهْدِ وَٱصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّجَّارُ مِنَ ٱلشِّبْلِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ قَالَ لَهُ: يَاسَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ مَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ شَيْئاً إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ. ثُمَّ أَجِيءُ إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ بَيْتاً يُحَصِّنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ. فَقَالَ لَهُ ٱلشِّبْلُ: وَٱللهِ مَا أُخَلِّيكَ تَرُوحُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي هٰذِهِ ٱلْأَلْوَاحَ بَيْتاً. ثُمَّ إِنَّ ٱلشِّبْلَ هَمَّ عَلَى ٱلنَّجَّارِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ. وَأَرَادَ أَنْ يَمْزَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى ٱلْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ وَوَقَعَ ٱلنَّجَّارُ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ. فَضَحِكَ ٱلشِّبْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ يَانَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْذُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. فَلَمَّا وَقَعَ ٱلنَّجَّارُ عَلَى ظَهْرِهِ ٱغْتَاظَ غَيْظاً شَدِيداً وَلٰكِنَّهُ كَتَمَ ذٰلِكَ عَنِ ٱلشِّبْلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ. فَقَعَدَ ٱلنَّجَّارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ: هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ ٱلْبَيْتَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ تَنَاوَلَ ٱلْأَلْوَاحَ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ ٱلْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ ٱلْقَالَبِ عَلَى قِيَاسِ ٱلشِّبْلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحاً. لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى

صُورَةِ ٱلصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ طَاقَةً كَبِيرَةً وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيرًا وَثَقَبَ فِيهِ ثُقَبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَسَامِيرَ مُطَرَّفَةً وَقَالَ لِلشِّبْلِ: ٱدْخُلْ فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ مِنْ هٰذِهِ ٱلطَّاقَةِ حَتَّى أَقِيسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرِحَ ٱلشِّبْلُ بِذٰلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ ٱلطَّاقَةِ فَرَآهَا ضَيِّقَةً. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: ٱدْخُلْ وَٱبْرُكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ: فَفَعَلَ ٱلشِّبْلُ ذٰلِكَ وَدَخَلَ ٱلصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنَبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ ٱلشِّبْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: أَمْهِلْ وَٱصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ يَسَعُ ذَنَبُكَ مَعَكَ: فَٱمْتَثَلَ ٱلشِّبْلُ أَمْرَهُ. ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَّارَ لَفَّ ذَنَبَ ٱلشِّبْلِ وَحَشَاهُ فِي ٱلصُّنْدُوقِ وَرَدَّ ٱللَّوْحَ عَلَى ٱلطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمَّرَهُ. فَصَاحَ ٱلشِّبْلُ قَائِلًا: يَا نَجَّارُ مَا هٰذَا ٱلْبَيْتُ ٱلَّذِي صَنَعْتَهُ لِي. دَعْنِي أَخْرُجْ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. لَا يَنْفَعُ ٱلنَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَكَانِ. ثُمَّ ضَحِكَ ٱلنَّجَّارُ وَقَالَ لِلشِّبْلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ فِي ٱلْقَفَصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَقْفَاصِ يَا أَخْبَثَ ٱلْوُحُوشِ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هٰذَا ٱلْخِطَابُ ٱلَّذِي تُخَاطِبُنِي بِهِ. فَقَالَ لَهُ ٱلنَّجَّارُ: ٱعْلَمْ يَا كَلْبَ ٱلْبَرِّ أَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ ٱلْقَدَرُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ ٱلْحَذَرُ. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشِّبْلُ كَلَامَهُ يَا أُخْتِي عَلِمَ أَنَّهُ ٱبْنُ آدَمَ ٱلَّذِي حَذَّرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي ٱلْيَقَظَةِ وَٱلْهَاتِفُ فِي ٱلْمَنَامِ. وَأَنَا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ وَخِفْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِٱلشِّبْلِ. فَرَأَيْتُ

يَا أُخْتِي ٱبْنَ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلصُّنْدُوقِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلشِّبْلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ ٱلْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ ٱلْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِٱلنَّارِ. فَكَبُرَ يَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ

فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ مِنَ ٱلْبَطَّةِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ. تَعَجَّبَتْ مِنْهُ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَقَالَتْ: يَا أُخْتِي. إِنَّكِ آمِنَةٌ مِنِ ٱبْنِ آدَمَ. لِأَنَّنَا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ ٱلْبَحْرِ. لَيْسَ لِٱبْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْلَكٌ. فَٱخْتَارِي ٱلْمُقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسَهِّلَ ٱللهُ أَمْرَكِ وَأَمْرَنَا: قَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ. وَٱلْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ آبِقٌ. فَقَالَتْ: ٱقْعُدِي عِنْدَنَا. وَأَنْتِ مِثْلُنَا. وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ. يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ صَبْرِي. وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ: فَقَالَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ: إِنْ كَانَ عَلَى جَبِينِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ وَإِنْ كَانَ دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُخَلِّصُنَا. وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا. فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ. إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا غَبَرَةٌ. فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ ٱلْبَطَّةُ وَنَزَلَتْ فِي ٱلْبَحْرِ. وَقَالَتِ: ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفَرٌّ مِنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ: فَبَعْدَ سَاعَةٍ ٱنْكَشَفَتِ ٱلْغَبَرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَبْيٌ. فَٱطْمَأَنَّتِ ٱلْبَطَّةُ وَٱلطَّاوُوسَةُ. ثُمَّ قَالَتْ لِلْبَطَّةِ: يَا أُخْتِي إِنَّ ٱلَّذِي بَصُرْتِ وَحَذِرْتِ مِنْهُ ظَبْيٌ وَهَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَنَا. فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ لِأَنَّ ٱلظَّبْيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ ٱلْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ. وَكَمَا أَنْتِ

مِنْ جِنْسِ ٱلطَّيْرِ هُوَ ٱلْآخَرُ مِنْ جِنْسِ ٱلْوُحُوشِ . فَاطْمَئِنِّي وَلَا تَهْتَمِّي . فَإِنَّ ٱلْهَمَّ يُنْحِلُ ٱلْبَدَنَ : فَلَمْ تُتِمَّ ٱلطَّاوُوسَةُ كَلَامَهَا حَتَّى وَصَلَ ٱلظَّبْيُ إِلَيْهِمَا . يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَلَمَّا رَأَى ٱلطَّاوُوسَةَ وَٱلْبَطَّةَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْيَوْمَ فَلَمْ أَرَ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكِنًا . ثُمَّ دَعَاهُمَا لِمُرَافَقَتِهِ وَمُصَافَاتِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْبَطَّةُ وَٱلطَّاوُوسَةُ تَوَدُّدَهُ إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ . فَتَصَادَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذٰلِكَ وَصَارَ مَبِيتُهُمْ وَاحِدًا وَمَأْكَلُهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ سَوَاءً . وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ آكِلِينَ شَارِبِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ كَانَتْ تَائِهَةً فِي ٱلْبَحْرِ . فَأَرْسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ ٱلنَّاسُ وَتَفَرَّقُوا فِي ٱلْجَزِيرَةِ فَرَأَوُا ٱجْتِمَاعَ ٱلظَّبْيِ وَٱلطَّاوُوسَةِ وَٱلْبَطَّةِ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْهُمُ ٱلطَّاوُوسَةُ صَعِدَتْ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ ثُمَّ طَارَتْ فِي ٱلْجَوِّ وَشَرَدَ ٱلظَّبْيُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَبَقِيَتِ ٱلْبَطَّةُ مُخَبَّلَةً . وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً : لَمْ يَنْفَعْنِي ٱلْحَذَرُ مِنَ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ . وَٱنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ مَا جَرَى لِلْبَطَّةِ ٱرْتَحَلَتْ مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ: لَا أَرَى ٱلْآفَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هٰذِهِ ٱلسَّفِينَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هٰذِهِ ٱلْبَطَّةِ ٱفْتِرَاقٌ . وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْ خِيَارِ ٱلْأَصْدِقَاءِ : ثُمَّ طَارَتِ ٱلطَّاوُوسَةُ وَٱجْتَمَعَتْ بِٱلظَّبْيِ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَهَنَّأَهَا بِٱلسَّلَامَةِ وَسَأَلَهَا عَنِ ٱلْبَطَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَخَذَهَا ٱلْعَدُوُّ

وَكَرِهَتِ ٱلْمُقَامَ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا . ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ ٱلْبَطَّةِ وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ قَطَّعَ قَلْبِي ... قَطَّعَ ٱللّٰهُ قَلْبَ يَوْمِ ٱلْفِرَاقِ

ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هٰذَا ٱلْبَيْتَ :

تَمَنَّيْتُ ٱلْوِصَالَ يَعُودُ يَوْمًا ... لِأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ ٱلْفِرَاقُ

فَٱغْتَمَّ ٱلظَّبْيُ غَمًّا شَدِيدًا وَرَدَّ عَزْمَ ٱلطَّاوُوسَةِ عَنِ ٱلرَّحِيلِ فَأَقَامَتْ مَعَ ٱلظَّبْيِ آمِنَيْنِ آكِلَيْنِ شَارِبَيْنِ . غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا حَزِينَيْنِ عَلَى فِرَاقِ ٱلْبَطَّةِ . فَقَالَ ٱلظَّبْيُ لِلطَّاوُوسَةِ : يَا أُخْتِي . قَدْ عَلِمْتِ أَنَّ ٱلنَّاسَ ٱلَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنَ ٱلْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ ٱلْبَطَّةِ فَٱحْذَرِيهِمْ وَٱحْتَرِسِي مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِ بَنِي آدَمَ وَخِدَاعِهِ . قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنْ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ تَرْكِهَا ٱلتَّسْبِيحَ وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكِ مِنْ تَرْكِكِ ٱلتَّسْبِيحَ . لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ٱللّٰهُ يُسَبِّحُهُ . فَإِنْ غَفَلَ عَنِ ٱلتَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَلَاكِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلظَّبْيُ كَلَامَ ٱلطَّاوُوسَةِ قَالَ : أَحْسَنَ ٱللّٰهُ صُورَتَكِ . وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلتَّسْبِيحِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ سَاعَةً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ تَسْبِيحَ ٱلظَّبْيِ . سُبْحَانَ ٱلدَّيَّانِ ذِي ٱلْجَبَرُوتِ وَٱلسُّلْطَانِ

حِكَايَةُ ٱلطُّيُورِ

زَعَمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ ٱلطُّيُورِ . طَارَ وَعَلَا إِلَى ٱلْجَوِّ . ثُمَّ ٱنْقَضَّ عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسَطِ ٱلْمَاءِ وَكَانَ ٱلْمَاءُ جَارِيًا . فَبَيْنَمَا ٱلطَّائِرُ وَاقِفٌ

إِذَا هُوَ بِرِمَّةِ إِنْسَانٍ جَرَّهَا ٱلْمَاءُ حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى تِلْكَ ٱلصَّخْرَةِ وَقَدِ ٱنْتَفَخَتْ وَٱرْتَفَعَتْ . فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ ٱلْمَاءِ وَتَأَمَّلَهَا فَرَآهَا رِمَّةَ ٱبْنِ آدَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ سُيُوفٍ وَطَعْنَ رِمَاحٍ . فَقَالَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ فِي نَفْسِهِ : أَظُنُّ أَنَّ هٰذَا ٱلْمَقْتُولَ كَانَ شِرِّيرًا فَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَقَتَلُوهُ وَٱسْتَرَاحُوا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ . وَلَمْ يَزَلْ طَيْرُ ٱلْمَاءِ حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذَا بِنُسُورٍ وَعِقْبَانٍ أَحَاطُوا بِتِلْكَ ٱلْجِيفَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا . فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ جَزِعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ: لَا صَبْرَ لِي عَلَى ٱلْإِقَامَةِ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ . ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُفَتِّشُ عَلَى مَوْضِعٍ يَأْوِيهِ إِلَى حِينِ تَنْفَدُ تِلْكَ ٱلْجِيفَةُ وَتَرُوحُ سِبَاعُ ٱلطُّيُورِ عَنْهَا . وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسَطِهِ شَجَرَةٌ . فَنَزَلَ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا كَئِيبًا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا زَالَتِ ٱلْأَحْزَانُ تَتْبَعُنِي وَكُنْتُ قَدِ ٱسْتَرَحْتُ لَمَّا رَأَيْتُ تِلْكَ ٱلْجِيفَةَ وَفَرِحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : هٰذَا رِزْقٌ سَاقَهُ ٱللهُ إِلَيَّ . فَصَارَ فَرَحِي غَمًّا وَسُرُورِي حُزْنًا وَهَمًّا . فَأَخَذَتْهَا وَٱفْتَرَسَتْهَا سِبَاعُ ٱلطُّيُورِ مِنِّي وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا . فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ سَالِمًا فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْكَدَرِ وَأَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ : ٱلدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ يَغْتَرُّ بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِمَالِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَلَمْ يَزَلِ ٱلْمُغْتَرُّ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَخْتَالُ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَحْثُو عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ أَعَزُّ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ . وَمَا لِلْفَتَى خَيْرٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ

عَلَى هُمُومِهَا وَمَكَارِهِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ كَارِهًا بِفُرْقَةِ إِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي وَخُلَّانِي

فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بِذَكَرٍ مِنَ ٱلسَّلَاحِفِ أَقْبَلَ مُنْحَدِرًا فِي ٱلْمَاءِ وَدَنَا مِنْ طَيْرِ ٱلْمَاءِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَاسَيِّدِي مَا ٱلَّذِي حَجَبَكَ وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ : قَالَ : حُلُولُ ٱلْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ

إِذَا حَلَّ ٱلثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ   فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى ٱلرَّحِيلِ

فَقَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ : إِنْ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَٱلْحَالُ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أُفَارِقُكَ لِأَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ وَأَفِيَ بِخِدْمَتِكَ . فَإِنَّهُ قِيلَ : لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ ٱلْغَرِيبِ ٱلْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ فُرْقَةَ ٱلصَّالِحِينَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنُ مَا يُسَلِّي بِهِ ٱلْعَاقِلُ نَفْسَهُ ٱلْاِسْتِئْنَاسُ فِي ٱلْغُرْبَةِ وَٱلصَّبْرُ عَلَى ٱلرَّزِيَّةِ وَٱلْكُرْبَةِ . وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ . وَأَكُونَ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا . فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ ٱلْمَاءِ مَقَالَةَ ٱلْغَيْلَمِ قَالَ لَهُ : لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعَمْرِي إِنِّي وَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ أَلَمًا وَغَمًّا مُدَّةَ بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَّانِي لِأَنَّ فِي ٱلْفِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنِ ٱعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَجِدِ ٱلْفَتَى مَنْ يُسَلِّيهِ مِنَ ٱلْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ ٱلْخَيْرُ أَبَدًا وَيَثْبُتُ ٱلشَّرُّ سَرْمَدًا . وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا ٱلتَّسَلِّي بِٱلْإِخْوَانِ عَنِ ٱلْهُمُومِ فِي جَمِيعِ ٱلْأَحْوَالِ . وَمُلَازَمَةُ ٱلصَّبْرِ وَٱلتَّجَلُّدِ .

If a bore chances into the

فإنهما خصلتان محمودتان. يعينان على المصيبة ونوائب الدهر. ويدفعان الفزع والجزع في كل أمر. فقال له الغيلم: إياك والجزع. فإنه يفسد عليك عيشك. ويذهب مروتك: وما زالا يتحدثان مع بعضهما إلى أن قال طير الماء للغيلم: أنا لم أزل أخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان. فلما سمع الغيلم مقالة طير الماء أقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له: لم تزل جماعة الطير تتبرك بك وتعرف في مشورتك الخير. فكيف تحمل الهم والضير. ولم نزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن. ثم إن طير الماء طار إلى مكان الجيفة. فلما وصل إليه لم ير من سباع الطير شيئاً. ولا من تلك الجيفة إلا عظاماً فرجع وأخبر الغيلم بزوال العدو من مكانه وقال له: اعلم أني أحب الرجوع إلى مكاني لأتملى بخلاني. فإنه لا صبر للعاقل على فراق وطنه. فأتيا إلى ذلك المكان فلم يجدا شيئاً مما يخافان منه فأنشد طير الماء يقول:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى	ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استمكنت حلقاتها	فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ثم إنهما سكنا في تلك الجزيرة. فبينما طير الماء مسرور آمن. إذ ساق القضاء إليه بازياً جائعاً. فضربه بمخلبه في بطنه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الأجل. وسبب قتله غفلته عن التسبيح. قيل إن تسبيحه سبحان ربنا في ما قدر ودبر.

And if perchance misfortune falls greater than youth can bear and with God alone is release from it
And when the chords tightened - there was release and I was thinking no release at all

سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَى وَأَفْقَرَ. هٰذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ ٱلْمَاءِ وَجَوَارِحِ ٱلطُّيُورِ

أَلدُّرَّاجُ وَٱلسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ رَضِيَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْيَسِيرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ ٱلْجَزَائِرِ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةُ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَأَنْهَارٍ. فَٱتَّفَقَ أَنَّ دُرَّاجًا ٱجْتَازَ بِهَا يَوْمًا. وَقَدْ أَصَابَهُ ٱلْحَرُّ وَٱلتَّعَبُ. فَلَمَّا أَضَرَّ بِهِ ذٰلِكَ حَطَّ مِنْ طَيَرَانِهِ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلَّتِي بِهَا تِلْكَ ٱلسَّلَاحِفُ. فَلَمَّا رَأَى ٱلسَّلَاحِفَ ٱلْتَجَأَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا. وَكَانَتِ ٱلسَّلَاحِفُ تَرْعَى فِي جِهَاتِ ٱلْجَزِيرَةِ. ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا. فَلَمَّا رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا. رَأَتِ ٱلدُّرَّاجَ فِيهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا وَزَيَّنَهُ ٱللّٰهُ لَهَا. فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا وَأَحَبَّتْ هٰذَا ٱلدُّرَّاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ بِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: لَا شَكَّ أَنَّ هٰذَا مِنْ أَحْسَنِ ٱلطُّيُورِ. فَصَارَتْ كُلُّهَا تُلَاطِفُهُ وَتَجْنَحُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ ٱلْمَحَبَّةِ مَالَ إِلَيْهَا وَٱسْتَأْنَسَ بِهَا. وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ أَرَادَ. وَعِنْدَ ٱلْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى ٱلْمَبِيتِ عِنْدَهَا. فَإِذَا أَصْبَحَ ٱلصَّبَاحُ يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هٰذِهِ عَادَتَهُ. وَٱسْتَمَرَّ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ. فَلَمَّا رَأَتِ ٱلسَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي ٱللَّيْلِ وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ قَالَ بَعْضُهَا: إِنَّ هٰذَا ٱلدُّرَّاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ

وصارَ لنا صديقًا. وما بقي لنا قدرةٌ على فراقه. فما يكونُ من الحيلةِ الموصلةِ إلى إقامتهِ عندنا دائمًا. لأنهُ إذا طارَ يغيبُ عنّا النهارَ كلَّهُ ولا نراهُ إلّا في الليلِ. فأشارت عليها واحدةٌ قائلةً: استرحنَ يا أخواتي وأنا أجعلهُ لا يفارقنا طرفةَ عينٍ. فقالَ لها الجميعُ: إن فعلتِ ذلكِ كنّا لكِ كلُّنا عبيدًا

فلمّا حضرَ الدرّاجُ من مسرحهِ وجلسَ بينها تقرّبت منهُ السلحفاةُ المحتالةُ ودعت لهُ وهنّأتهُ بالسلامةِ وقالت لهُ: يا سيّدي اعلمْ أنَّ اللهَ قد رزقكَ منّا المحبّةَ وكذلكَ أودعَ قلبكَ محبّتنا وصرتَ لنا في هذا القفرِ أنيسًا وأحسنُ أوقاتِ المحبّينَ إذا كانوا مجتمعينَ والبلاءُ العظيمُ في البعدِ والفراقِ. ولكنّكَ تتركُنا عندَ طلوعِ الفجرِ ولم تعُدْ إلينا إلّا عندَ الغروبِ فيصيرُ عندنا وحشةٌ زائدةٌ. وقد شقَّ علينا ذلكَ كثيرًا ونحنُ في وجدٍ عظيمٍ بهذا السببِ. فقالَ لها الدرّاجُ: نعم أنا عندي محبّةٌ لكنَّ واشتياقٌ عظيمٌ إليكنَّ زيادةً على ما عندكنَّ وفراقكنَّ ليسَ سهلًا عندي. لكن ما بيدي حيلةٌ في ذلكَ لكوني طيرًا بأجنحةٍ فلا يمكنني المقامُ معكنَّ دائمًا لأنَّ هذا ليسَ من طبعي. فإنَّ الطيرَ ذا الأجنحةِ ليسَ لهُ مستقرٌّ إلّا في الليلِ لأجلِ النومِ وإذا أصبحَ طارَ وسرحَ في أيِّ موضعٍ أعجبهُ. فقالت لهُ السلحفاةُ: صدقتَ ولكنْ ذو الأجنحةِ في غالبِ الأوقاتِ لا راحةَ لهُ لكونهِ لا ينالهُ

مِنَ ٱلْخَيْرِ رُبْعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ وَغَايَةُ ٱلْمَقْصُودِ لِلشَّخْصِ ٱلرَّفَاهِيَةُ وَٱلرَّاحَةُ . وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ٱلْمَحَبَّةَ وَٱلْأُلْفَةَ وَنَخْشَى عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ فَتَهْلِكَ وَنُحْرَمُ مِنْ رُؤْيَةِ وَجْهِكَ

فَأَجَابَهَا ٱلدُّرَّاجُ قَائِلًا : صَدَقْتِ . وَلٰكِنْ مَا عِنْدَكِ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْحِيلَةِ فِي أَمْرِي . فَقَالَتْ لَهُ : ٱلرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتِفَ سَوَاعِدَكَ ٱلَّتِي تُسْرِعُ بِطَيَرَانِكَ وَتَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيحًا وَتَأْكُلَ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ شُرْبِنَا فِي هٰذِهِ ٱلْمَسْرَحَةِ ٱلْكَثِيرَةِ ٱلْأَشْجَارِ ٱلْيَانِعَةِ ٱلْأَثْمَارِ وَنُقِيمَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ ٱلْمُخْصِبِ وَيَتَمَتَّعَ كُلٌّ مِنَّا بِصَاحِبِهِ . فَمَالَ ٱلدُّرَّاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ ٱلرَّاحَةَ لِنَفْسِهِ . ثُمَّ نَتَفَ رِيشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَكَمَ مَا ٱسْتَحْسَنَهُ مِنْ رَأْيِ ٱلسَّلَحْفَاءِ وَٱسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعَهُنَّ وَرَضِيَ بِٱللَّذَّةِ ٱلْيَسِيرَةِ وَٱلطَّرَبِ ٱلزَّائِلِ

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ إِذَا بِٱبْنِ عِرْسٍ قَدْ مَرَّ فَرَمَقَهُ بِعَيْنِهِ وَتَأَمَّلَهُ فَرَآهُ مَنْصُوصَ ٱلْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلنُّهُوضَ . فَلَمَّا رَآهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هٰذَا ٱلدُّرَّاجَ سَمِينُ ٱللَّحْمِ قَلِيلُ ٱلرِّيشِ . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ٱبْنُ عِرْسٍ وَٱفْتَرَسَهُ . فَصَاحَ ٱلدُّرَّاجُ وَطَلَبَ ٱلنَّجْدَةَ مِنَ ٱلسَّلَاحِفِ فَلَمْ يُنْجِدْنَهُ بَلْ تَبَاعَدْنَ عَنْهُ وَٱنْكَمَشْنَ فِي بَعْضِهِنَّ . لَمَّا رَأَيْنَ ٱبْنَ عِرْسٍ قَابِضًا عَلَيْهِ . وَحَيْثُ رَأَيْنَ ٱبْنَ عِرْسٍ

يُعَدِّدْ بِهِ خَنَقَهُنَّ ٱلْبُكَاءُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُنَّ ٱلدُّرَّاجُ : هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ غَيْرُ ٱلْبُكَاءِ . فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَخَانَا لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي أَمْرِ ٱبْنِ عِرْسٍ . فَحَزِنَ ٱلدُّرَّاجُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَقَطَعَ ٱلرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ وَقَالَ لَهُنَّ : لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ إِنَّمَا ٱلذَّنْبُ لِي حَيْثُ أَطَعْتُكُمْ وَنَتَفْتُ أَجْنِحَتِي ٱلَّتِي أَطِيرُ بِهَا . فَأَنَا أَسْتَحِقُّ ٱلْهَلَاكَ لِمُطَاوَعَتِي لَكُنَّ وَلَا أَلُومُكُنَّ فِي شَيْءٍ

ٱلثَّعَالِبُ وَٱلذِّئْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحَكُّمِهِ . فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ ٱلْبَوَارَ

زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلثَّعَالِبِ . خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا يَأْكُلُونَ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَلَبِ ذٰلِكَ . إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ . فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا . وَلٰكِنْ نَخَافُ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ . وَيَمِيلَ ٱلْقَوِيُّ بِقُوَّتِهِ عَلَى ٱلضَّعِيفِ . فَيَهْلِكَ ٱلضَّعِيفُ مِنَّا . فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكَمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَنَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا فَلَا يَكُونَ لِلْقَوِيِّ سُلْطَةٌ عَلَى ٱلضَّعِيفِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِي شَأْنِ ذٰلِكَ وَإِذَا بِذِئْبٍ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ أَصَابَ رَأْيُكُمْ فَٱجْعَلُوا هٰذَا ٱلذِّئْبَ حَكَمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى ٱلنَّاسِ . وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ ٱللّٰهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا . ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ وَقَالُوا : لَقَدْ حَكَّمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقُوتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ لِئَلَّا يَبْغِي قَوِيُّنَا عَلَى ضَعِيفِنَا فَيُهْلِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا.
فَأَجَابَهُمُ الذِّئْبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ
الْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ الذِّئْبُ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ قِسْمَةَ
هٰذَا الْجَمَلِ بَيْنَ هٰؤُلَاءِ الْعَاجِزِينَ لَا يَعُودُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا الْجُزْءُ
الَّذِي جَعَلُوهُ لِي. وَإِنْ أَكَلْتُهُ وَحْدِي فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضَرًّا مَعَ
أَنَّهُمْ غُنْمٌ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي. فَمَنِ الَّذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هٰذَا لِنَفْسِي.
وَلَعَلَّ اللّٰهَ مُسَبِّبُهُ لِي بِغَيْرِ جَمِيلَةٍ مِنْهُمْ. فَالْأَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْتَصَّ بِهِ
دُونَهُمْ وَمِنْ هٰذَا الْوَقْتِ لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا. فَلَمَّا أَصْبَحَ الثَّعَالِبُ
جَاؤُوا إِلَيْهِ عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ قُوتَهُمْ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سِرْحَانَ
أَعْطِنَا مُؤْنَةَ يَوْمِنَا. فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ.
فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَإِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ اللّٰهَ أَوْقَعَنَا فِي هَمٍّ
عَظِيمٍ مَعَ هٰذَا الْخَائِنِ الْخَبِيثِ الَّذِي لَا يَتَّقِي اللّٰهَ وَلَا يَخَافُهُ وَلَيْسَ
لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ. ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِ
ضَرُورَةُ الْجُوعِ. فَدَعُوهُ الْيَوْمَ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ
إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا سِرْحَانَ إِنَّمَا وَلَّيْنَاكَ
عَلَيْنَا لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوتَهُ وَتُنْصِفَ الضَّعِيفَ
مِنَ الْقَوِيِّ. وَإِذَا فَرَغَ تَجْتَهِدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ وَنَصِيرُ دَائِمًا
تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ. وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوعُ وَلَنَا يَوْمَانِ مَا أَكَلْنَا
فَأَعْطِنَا مُؤْنَتَنَا. وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيعِ مَا تَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ دُونِ

ذٰلِكَ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا بَلِ ٱزْدَادَ قَسْوَةً. فَرَاجَعُوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَيْسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنَّنَا نَنْطَلِقُ إِلَى ٱلْأَسَدِ وَنَرْمِي أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ. وَنَحْمِلُ لَهُ ٱلْجَمَلَ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنْهُ كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِلَّا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ هٰذَا ٱلْخَبِيثِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقُوا إِلَى ٱلْأَسَدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مَعَ ٱلذِّئْبِ ثُمَّ قَالُوا لَهُ: نَحْنُ عَبِيدُكَ وَقَدْ جِئْنَاكَ مُسْتَجِيرِينَ بِكَ لِتُخَلِّصَنَا مِنْ هٰذَا ٱلذِّئْبِ وَنَصِيرَ لَكَ عَبِيدًا. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ كَلَامَ ٱلثَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ وَغَارَ لِلّٰهِ تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى ٱلذِّئْبِ. فَلَمَّا رَأَى ٱلذِّئْبُ ٱلْأَسَدَ مُقْبِلًا طَلَبَ ٱلْفِرَارَ مِنْ قُدَّامِهِ. فَجَرَى ٱلْأَسَدُ خَلْفَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَمَزَّقَهُ قِطَعًا وَمَكَّنَ ٱلثَّعَالِبَ مِنْ فَرِيسَتِهِمْ. فَمِنْ هٰذَا يَنْتُجُ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ رَعَايَتِهِ

أَلسِّنْدِبَادُ ٱلْحَمَّالُ

إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ ٱلْخَلِيفَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ٱلسِّنْدِبَادُ ٱلْحَمَّالُ وَكَانَ رَجُلًا فَقِيرَ ٱلْحَالِ يَحْمِلُ بِأُجْرَتِهِ عَلَى رَأْسِهِ. فَٱتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلَ فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ حَمْلَةً ثَقِيلَةً وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ شَدِيدَ ٱلْحَرِّ فَتَعِبَ مِنْ تِلْكَ ٱلْحَمْلَةِ وَعَرِقَ وَٱشْتَدَّ عَلَيْهِ ٱلْحَرُّ. فَمَرَّ عَلَى بَابِ رَجُلٍ تَاجِرٍ قُدَّامَهُ كَنْسٌ وَرَشٌّ وَهُنَاكَ هَوَاءٌ مُعْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ ٱلْبَابِ مِصْطَبَةٌ عَرِيضَةٌ فَحَطَّ ٱلْحَمَّالُ حَمْلَتَهُ عَلَى تِلْكَ ٱلْمِصْطَبَةِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَشُمَّ ٱلْهَوَاءَ فَخَرَجَ

عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ٱلْبَابِ نَسِيمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ فَٱسْتَلَذَّ ٱلْحَمَّالُ لِذَلِكَ وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ ٱلْمِصْطَبَةِ. فَسَمِعَ فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ نَغَمَ أَوْتَارٍ وَعُودٍ وَأَصْوَاتًا مُطْرِبَةً وَأَنْوَاعَ إِنْشَادٍ مُعْرِبَةً. وَسَمِعَ أَيْضًا أَصْوَاتَ طُيُورٍ تُنَاغِي وَتُسَبِّحُ ٱللّٰهَ تَعَالَى بِٱخْتِلَافِ ٱلْأَصْوَاتِ وَسَائِرِ ٱللُّغَاتِ مِنْ قَمَارِي وَهَزَارٍ وَشَحَارِيرَ وَبُلْبُلٍ وَفَاخِتَةٍ وَكَرَوَانٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا. فَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْبَابِ فَوَجَدَ دَاخِلَ ٱلْبَيْتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ غِلْمَانًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةُ أَطْعِمَةٍ طَيِّبَةٍ ذَكِيَّةٍ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَلْوَانِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَٱلشَّرَابِ ٱلطَّيِّبِ. فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. ٱللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ ٱلذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْعُيُوبِ. يَا رَبِّ لَا ٱعْتِرَاضَ عَلَيْكَ فِي حُكْمِكَ وَقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سُبْحَانَكَ تُغْنِي مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ. لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانَكَ وَمَا أَحْسَنَ تَدْبِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَى مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ. فَهٰذَا ٱلْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ ٱلنِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِٱلرَّوَائِحِ ٱللَّطِيفَةِ وَٱلْمَآكِلِ ٱللَّذِيذَةِ وَٱلْمَشَارِبِ ٱلْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ ٱلصِّفَاتِ. وَقَدْ حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَقَدَّرْتَهُ عَلَيْهِمْ. فَمِنْهُمْ تَعْبَانٌ وَمِنْهُمْ

مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ ٱلتَّعَبِ وَٱلذُّلِّ. وَأَنْشَدَ يَقُولُ

فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِلَا رَاحَةٍ ... يَنْعَمُ فِي خَيْرِ فَيْءٍ وَظِلّ

وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ ... وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حِمْلِي

وَغَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شِقْوَةٍ ... وَمَا حَمَلَ ٱلدَّهْرَ يَوْمًا كَحِمْلِي

يَنْعَمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا ... بِبَسْطٍ وَعِزٍّ وَشُرْبٍ وَأَكْلِ

وَكُلُّ ٱلْخَلَائِقِ مِنْ نُطْفَةٍ ... أَنَا مِثْلُ هٰذَا وَهٰذَا كَمِثْلِي

وَلٰكِنْ شَتَّانَ مَا بَيْنَنَا ... وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلِّ

وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ ٱفْتِرَاءً ... فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلِ

فَلَمَّا فَرَغَ ٱلسِّنْدَبَادُ ٱلْحَمَّالُ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ حَمْلَتَهُ وَيَسِيرَ إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرُ ٱلسِّنِّ حَسَنُ ٱلْوَجْهِ مَلِيحُ ٱلْقَدِّ فَاخِرُ ٱلْمَلَابِسِ. فَقَبَضَ عَلَى يَدِ ٱلْحَمَّالِ وَقَالَ لَهُ: أُدْخُلْ كَلِّمْ سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ. فَأَرَادَ ٱلْحَمَّالُ ٱلْاِمْتِنَاعَ مِنَ ٱلدُّخُولِ مَعَ ٱلْغُلَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ. فَحَطَّ حَمْلَتَهُ عِنْدَ ٱلْبَوَّابِ فِي دِهْلِيزِ ٱلْمَكَانِ وَدَخَلَ مَعَ ٱلْغُلَامِ دَاخِلَ ٱلدَّارِ. فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ مِنَ ٱلسَّادَاتِ ٱلْكِرَامِ وَٱلْمَوَالِي ٱلْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ ٱلزَّهْرِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ ٱلْمَشْمُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ ٱلنُّقْلِ وَٱلْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ ٱلْأَطْعِمَةِ ٱلنَّفِيسَةِ. وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي ٱلْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ ٱلسَّمَاعِ

وَالطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحِسَانِ كُلٌّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى حَسَبِ التَّرْتِيبِ. وَفِي صَدْرِ ذٰلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ لَكَزَهُ الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ وَافْتِخَارٌ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ بُهِتَ السِّنْدِبَادُ الْحَمَّالُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللهِ إِنَّ هٰذَا الْمَكَانَ مِنْ بُقَعِ الْجِنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ: ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنَكِّسُ الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ. فَأَذِنَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَصَارَ يُؤَانِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيُرَحِّبُ بِهِ. ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمُفْتَخَرِ الطَّيِّبِ النَّفِيسِ. فَتَقَدَّمَ السِّنْدِبَادُ الْحَمَّالُ وَسَمَّى وَأَكَلَ حَتَّى اكْتَفَى وَشَبِعَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى ذٰلِكَ. فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ. مَرْحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ. فَمَا يَكُونُ اسْمُكَ. وَمَا تُعَانِي مِنَ الصَّنَائِعِ. فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي اسْمِي السِّنْدِبَادُ الْحَمَّالُ وَأَنَا أَحْمِلُ عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأُجْرَةِ. فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ: اعْلَمْ يَا حَمَّالُ أَنَّ اسْمَكَ مِثْلُ اسْمِي. فَأَنَا السِّنْدِبَادُ الْبَحْرِيُّ وَلٰكِنْ يَا حَمَّالُ قَصْدِي أَنْ تُسْمِعَنِي الْأَبْيَاتَ الَّتِي كُنْتَ تُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ. فَاسْتَحْيَا الْحَمَّالُ وَقَالَ لَهُ: بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تُؤَاخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمَشَقَّةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ وَالسَّفَهَ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْتَحِ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدْ

الأَبْيَاتَ فَإِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ.
فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْشَدَ الْحَمَّالُ تِلْكَ الأَبْيَاتَ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ
لَهُ: يَا حَمَّالُ اعْلَمْ أَنَّ لِي قِصَّةً عَجِيبَةً وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ
لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي
هٰذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ. فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هٰذِهِ السَّعَادَةِ
وَهٰذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ.
وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ. وَقَدْ سَافَرْتُ
سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفْرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُحَيِّرُ الْفِكْرَ

السَّفْرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلسِّنْدِبَادِ الْبَحْرِيِّ

إِعْلَمُوا يَا سَادَةُ يَا كِرَامُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ
أَكَابِرِ النَّاسِ وَالتُّجَّارِ. وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَنَوَالٌ جَزِيلٌ.
وَقَدْ مَاتَ وَأَنَا وَلَدٌ صَغِيرٌ وَخَلَّفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِيَاعًا. فَلَمَّا
كَبِرْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَى الْجَمِيعِ وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرِبْتُ
شُرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ الشَّبَابَ وَتَجَمَّلْتُ بِلُبْسِ الثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ
الْخِلَّانِ وَالأَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ
عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَأَفَقْتُ مِنْ غَفْلَتِي. ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ
إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَالِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ
مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرْعُوبٌ مَدْهُوشٌ وَقَدْ

تفكرت حكاية كنت أسمعها سابقاً من أبي وهي حكاية سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام في قوله ثلاثة خير من ثلاثة: يوم الممات خير من يوم الولادة. وكلب حي خير من سبع ميت. والقبر خير من الفقر. ثم إني قمت وجمعت ما كان عندي من آثار وملبوس وبعته ثم بعت عقاري وجميع ما تملكت يدي فجمعت ثلاثة آلاف درهم، وقد خطر ببالي السفر إلى بلاد الناس وتذكرت كلام بعض الشعراء حيث قال:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلى سهر الليالي
يغوص البحر من طلب اللآلي ... ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلى من غير كد ... أضاع العمر في طلب المحال

فاشتاقت نفسي إلى السفر والتجارة فعزمت على السفر واشتريت لي بضائع نفيسة فاخرة تصلح للبحر وحملت حمولي وسافرت من مدينة بغداد إلى مدينة البصرة فرأيت مركباً عظيماً فيه تجار وأكابر ومعهم بضائع نفيسة فنزلت حمولي معهم في هذا المركب وسرنا بالسلامة من مدينة البصرة ولم نزل مسافرين من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونتفرج على بلاد الناس. وقد طاب لنا السعد والسفر واغتنمنا المعاش إلى أن كنا سائرين يوماً من الأيام وإذا برئيس المركب صرخ وصاح ورمى عمامته ولطم على وجهه ونتف لحيته ووقع في بطن المركب من

شِدَّةِ ٱلْغَمِّ وَٱلْقَهْرِ. فَٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ ٱلتُّجَّارِ وَٱلرُّكَّابِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا رَئِيسُ مَا ٱلْخَبَرُ: فَقَالَ لَهُمُ ٱلرَّئِيسُ: ٱعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تُهْنَا بِمَرْكَبِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقَيِّضِ ٱللهُ لَنَا شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هٰذَا ٱلْبَحْرِ هَلَكْنَا بِأَجْمَعِنَا لَا مَحَالَةَ فَٱدْعُوا ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ: ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى ٱلصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَحُلَّ ٱلْقُلُوعَ فَقَوِيَ ٱلرِّيحُ عَلَى ٱلْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُؤَخَّرِهَا فَٱنْكَسَرَتْ دَفَّتُهَا قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ: فَنَزَلَ ٱلرَّئِيسُ مِنَ ٱلصَّارِي وَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ ٱلْمَقْدُورَ. وَٱللهِ إِنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي مَهْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا خَلَاصٌ وَلَا نَجَاةٌ: فَبَكَى جَمِيعُ ٱلرُّكَّابِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفَرَاغِ أَعْمَارِهِمْ وَٱنْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ ٱلْمَرْكَبُ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ فَٱنْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتْ أَلْوَاحُهَا. فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَوَقَعَ ٱلتُّجَّارُ فِي ٱلْبَحْرِ فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَطَلَعَ عَلَيْهِ. وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلَ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْمُكَسَّرَةِ. وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ مِنَ ٱلَّذِي يَطْرَحُهُ ٱلْبَحْرُ مِنَ ٱلْمَرَاكِبِ ٱلَّتِي كُسِرَتْ وَغَرِقَ رُكَّابُهَا. وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُحَيِّرُ ٱلْعَقْلَ وَٱلْفِكْرَ مِنَ ٱلْمَتَاعِ وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي يُلْقِيهَا ٱلْبَحْرُ عَلَى جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعْتُ أَعْلَى

تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَمَشَيْتُ فِيهَا فَرَأَيْتُ فِي وَسَطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي آخِرِهِ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلثَّانِي فَعِنْدَ ذٰلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ ٱلرُّكَّابِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ إِلَى ٱلْجَزِيرَةِ وَٱنْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهِلَتْ عُقُولُهُمْ مِنْ ذٰلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ ٱلْمَجَانِينِ مِنْ كَثْرَةِ مَا رَأَوْا فِي ٱلْجَزِيرَةِ مِنَ ٱلْأَمْتِعَةِ وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسَطِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ ٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْيَوَاقِيتِ وَٱللَّآلِئِ ٱلْكِبَارِ ٱلْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ مِثْلُ ٱلْحَصَى فِي مَجَارِي ٱلْمَاءِ فِي تِلْكَ ٱلْغِيطَانِ . وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَرَأَيْنَا شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى ٱلْعُودِ ٱلصِّينِيِّ وَٱلْعُودِ ٱلْقَمَارِيِّ . وَفِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صِنْفِ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ ٱلشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ ٱلشَّمْسِ وَيَمْتَدُّ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ فَتَطْلَعُ ٱلْهَوَايِشُ مِنَ ٱلْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ فِي ٱلْبَحْرِ فَيَحْمَى فِي بُطُونِهَا فَتَقْذِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي ٱلْبَحْرِ فَيَجْمُدُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ . فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْذِفُهُ ٱلْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ فَيَأْخُذُهُ ٱلسَّيَّاحُونَ وَٱلتُّجَّارُ ٱلَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَبِيعُونَهُ. وَأَمَّا ٱلْعَنْبَرُ ٱلْخَامُ ٱلْخَالِصُ مِنَ ٱلْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْعَيْنِ وَيَتَجَمَّدُ بِأَرْضِهِ . فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ يَسِيحُ وَتَبْقَى مِنْهُ رَائِحَةُ ذٰلِكَ ٱلْوَادِي كُلِّهِ مِثْلَ ٱلْمِسْكِ . وَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ ٱلشَّمْسُ

يُحْمَدُ. وَذَلِكَ ٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي فِيهِ هٰذَا ٱلْعَنْبَرُ ٱلْخَامُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ
عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكَهُ. فَإِنَّ ٱلْجَبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَلَا
يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ، وَلَمْ نَزَلْ دَائِرِينَ فِي تِلْكَ
ٱلْجَزِيرَةِ نَتَفَرَّجُ عَلَى مَا خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ ٱلْأَرْزَاقِ وَنَحْنُ
مُتَحَيِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى
جَانِبِ ٱلْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ ٱلزَّادِ فَصِرْنَا نُوَفِّرُهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَنَحْنُ خَائِفُونَ أَنْ يَفْرَغَ ٱلزَّادُ
مِنَّا فَنَمُوتَ كَمَدًا مِنْ شِدَّةِ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا
نُغَسِّلُهُ وَنُكَفِّنُهُ فِي ثِيَابٍ وَقُمَاشٍ مِنَ ٱلَّذِي يَطْرَحُهُ ٱلْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ
ٱلْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ.
فَضَعُفْنَا بِوَجَعِ ٱلْبَطْنِ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مُدَّةً قَلِيلَةً فَمَاتَ جَمِيعُ أَصْحَابِي
وَرُفَقَائِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَدْفِنُهُ. وَبَقِيتُ
فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ وَحْدِي وَبَقِيَ مَعِي زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا
فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ: يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ رُفَقَائِي وَكَانُوا غَسَّلُونِي
وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ. ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ
مُدَّةً يَسِيرَةً وَقُمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي جَانِبِ تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ
وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ قَدْ أَتَانِي أَرْقُدُ فِي
هٰذَا ٱلْقَبْرِ فَأَمُوتُ فِيهِ وَيَبْقَى ٱلرِّيحُ يَسْفِي ٱلرَّمْلَ عَلَيَّ فَيُغَطِّينِي
وَأَصِيرُ مَدْفُونًا فِيهِ. وَصِرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى قِلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ

بِلَادِي وَمَدِينَتِي وَسَفَرِي إِلَى الْبِلَادِ بَعْدَ الَّذِي قَاسَيْتُهُ أَوَّلاً وَثَانِياً وَثَالِثاً وَرَابِعاً وَخَامِساً . وَلَا سَفْرَةَ مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَأُقَاسِي أَهْوَالاً وَشَدَائِدَ أَشَقَّ وَأَصْعَبَ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا . وَمَا أُصَدِّقُ بِالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ . وَلَسْتُ مُحْتَاجاً لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ . وَالَّذِي عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُفْنِيَهُ وَلَا أُضِيعَ نِصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي . وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ : وَاللّٰهِ لَا بُدَّ أَنَّ هٰذَا النَّهْرَ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَلَا بُدَّ مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعَمَارِ . وَالرَّأْيُ السَّدِيدُ عِنْدِي أَنِّي أَعْمَلُ لِي فُلْكاً صَغِيراً عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُلْقِيهِ فِي هٰذَا النَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ . فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصاً أَخْلُصُ وَأَنْجُو بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى . وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مَخْلَصاً أَمُوتُ دَاخِلَ هٰذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا الْمَكَانِ وَصِرْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي . ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ فَجَمَعْتُ أَخْشَاباً مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ خَشَبِ الْعُودِ الصِّينِيِّ وَالْقَمَارِيِّ وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِحِبَالٍ مِنْ حِبَالِ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِرَتْ وَجِئْتُ بِأَلْوَاحٍ مُتَسَاوِيَةٍ مِنْ أَلْوَاحِ الْمَرَاكِبِ وَوَضَعْتُهَا فِي ذٰلِكَ الْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذٰلِكَ الْفُلْكَ عَلَى عَرْضِ ذٰلِكَ النَّهْرِ أَوْ أَقَلَّ مِنْ عَرْضِهِ . وَشَدَدْتُهُ شَدّاً طَيِّباً مَكِيناً . وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِي مِنْ تِلْكَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْوَالِ وَاللُّؤْلُؤِ الْكَبِيرِ الَّذِي مِثْلُ الْحَصَى وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الَّذِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَيْئاً مِنَ الْعَنْبَرِ الْخَامِ

الخالص الطيب ووضعته في ذلك الفلك ووضعت فيه جميع ما جمعته من الجزيرة وأخذت معي جميع ما كان باقيا من الزاد. ثم إني ألقيت ذلك الفلك في هذا النهر وجعلت له خشبتين على جنبيه مثل المجاديف وعملت بقول بعض الشعراء

تَرَحَّلْ عن مكانٍ فيه ضَيْمٌ ... وَخَلِّ الدار تنعى من بناها
فإنك واجدٌ أرضا بأرضٍ ... ونفسك لم تجد نفسا سواها
ولا تجزع لحادثة الليالي ... فكل مصيبةٍ يأتي انتهاها
ومن كانت منيته بأرضٍ ... فليس يموت في أرضٍ سواها
ولا تبعث رسولك في مهمٍ ... فما للنفس ناصحة سواها

وسرت بذلك الفلك في النهر وأنا متفكر فيما يصير إليه أمري . ولم أزل سائرا إلى المكان الذي يدخل فيه النهر تحت ذلك الجبل ودخلت الفلك في ذلك المكان وقد صرت في ظلمة شديدة تحت الجبل . ولم يزل الفلك داخلا بي مع الماء إلى ضيق تحت الجبل . وصارت جوانب الفلك تحك في جوانب النهر ورأسي يحك في سقف النهر ولم أقدر على أني أعود منه وقد لمت نفسي على ما فعلته بروحي وقلت : إن ضاق المكان على الفلك قل أن يخرج منه ولا يمكن عوده فأهلك في المكان كمدا بلا محالة . وقد انطرحت على وجهي في الفلك من ضيق النهر . ولم أزل سائرا ولا أعلم ليلا من نهار بسبب الظلمة التي

أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ الْفَزَعِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنَ الْهَلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هٰذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَهُوَ يَتَّسِعُ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتْعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا فَأَخَذَتْنِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي الْفُلْكِ . وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ ثُمَّ إِنِّي اسْتَيْقَظْتُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي النُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ الْفُلْكُ مَرْبُوطٌ عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْهُنُودِ وَالْحَبَشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قُمْتُ نَهَضُوا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيتُ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلْمٌ وَأَنَّ هٰذَا فِي الْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْقَهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ أَعْرِفْ حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ . وَمَا سَبَبُ مَجِيئِكَ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ . وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ فِي هٰذَا الْمَاءِ . وَأَيُّ بِلَادٍ خَلْفَ هٰذَا الْجَبَلِ لِأَنَّنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ هٰذِهِ : فَقَالَ لِي : يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغِيطَانِ وَجِئْنَا لِنَسْقِيَ غِيطَانَنَا وَزَرْعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الْفُلْكِ فَأَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتَّى تَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ . فَأَخْبِرْنَا مَا سَبَبُ وُصُولِكَ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ . فَقُلْتُ لَهُ : بِاللّٰهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أْتِنِي بِشَيْءٍ

مِنَ ٱلطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ ٱسْأَلْنِي عَمَّا تُرِيدُ . فَأَسْرَعَ وَأَتَانِي بِٱلطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَٱرْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِي وَٱزْدَادَ شَبَعِي وَرُدَّتْ لِي رُوحِي . فَحَمِدْتُ ٱللهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ بِخُرُوجِي مِنْ ذَلِكَ ٱلنَّهْرِ وَوُصُولِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذَلِكَ ٱلنَّهْرِ وَضِيقِهِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا : لَا بُدَّ أَنَّنَا نَأْخُذُهُ مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَلِكِنَا لِيُخْبِرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ : قَالَ : فَأَخَذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِي ٱلْفُلْكَ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَالِ وَٱلنَّوَالِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْمَعَادِنِ وَٱلْمَصَاغِ . وَقَدْ أَدْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى . فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا ٱتَّفَقَ لِي مِنَ ٱلْأُمُورِ . فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَاقَيْتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . فَتَعَجَّبَ ٱلْمَلِكُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحِكَايَةِ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَهَنَّأَنِي بِٱلسَّلَامَةِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْتُ وَطَلَّعْتُ مِنْ ذَلِكَ ٱلْفُلْكِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْجَوَاهِرِ وَٱلْعُودِ وَٱلْعَنْبَرِ ٱلْخَامِ وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مِنِّي وَأَكْرَمَنِي إِكْرَامًا زَائِدًا وَأَنْزَلَنِي فِي مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّونِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ لَا أُفَارِقُ دَارَ ٱلْمَلِكِ . وَصَارَ ٱلْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأُخْبِرُهُمْ بِهَا . وَكَذَلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ ٱلْخَلِيفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ

فأخبرته بعدله في أحكامه . فتعجب من أموره وقال لي : والله إن الخليفة له أمور عقلية وأحوال مرضية وأنت قد حببتني فيه ومرادي أن أجهز له هدية وأرسلها معك إليه : فقلت : سمعاً وطاعة يا مولانا أوصلها إليه وأخبره أنك محب صادق . ولم أزل مقيماً عند ذلك الملك وأنا في غاية العز والإكرام وحسن معيشة مدة من الزمان إلى أن كنت جالساً يوماً من الأيام في دار الملك فسمعت بخبر جماعة من تلك المدينة أنهم جهزوا لهم مركباً يريدون السفر فيه إلى نواحي مدينة البصرة . فقلت في نفسي ليس لي أوفق من السفر مع هؤلاء الجماعة . فأسرعت من وقتي وساعتي وقبلت يد ذلك الملك وأعلمته بأن مرادي السفر مع الجماعة في المركب الذي جهزوه لأني اشتقت إلى أهلي وبلادي . فقال لي الملك : الرأي لك وإن شئت الإقامة عندنا فعلى الرأس والعين وقد حصل لنا أنسك . فقلت : والله يا سيدي قد غمرتني بجميلك وإحسانك ولكني قد اشتقت إلى أهلي وبلادي وعيالي . فلما سمع كلامي أحضر التجار الذين جهزوا المركب وأوصاهم علي وقد وهب لي شيئاً كثيراً من عنده ودفع عني أجرة المركب وأرسل معي هدية عظيمة إلى الخليفة هارون الرشيد بمدينة بغداد . ثم إني ودعت جميع أصحابي الذين كنت أتردد عليهم . ثم نزلت ذلك المركب مع التجار وسرنا وقد طاب لنا الريح والسفر

وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ ٱلْبَصْرَةِ . فَطَلَعْتُ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بِأَرْضِ ٱلْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِيَ حَتَّى جَهَّزْتُ نَفْسِي وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ ٱلسَّلَامِ . فَدَخَلْتُ عَلَى ٱلْخَلِيفَةِ هَارُونَ ٱلرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ ٱلْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتِعَتِي وَدَخَلْتُ حَارَتِي وَجَاءَنِي أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ ٱلْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ . وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ ٱلزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ ٱلْخَلِيفَةُ فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ ٱلْهَدِيَّةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱللهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي هِيَ مِنْهَا ٱسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلٰكِنْ لَمَّا غَرِقَ ٱلْمَرْكَبُ ٱلَّذِي كُنْتُ فِيهِ طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكًا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسَطِ جَزِيرَةٍ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي ٱلسَّفْرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِ ٱلْهَدِيَّةِ . فَتَعَجَّبَ ٱلْخَلِيفَةُ مِنْ ذٰلِكَ غَايَةَ ٱلْعَجَبِ وَأَمَرَ ٱلْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي خِزَانَتِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَآهَا

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ ٱلْعُبَّادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ . وَكَانَ

يَأْوِي إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ ٱلْحَمَامِ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوتَهُ نِصْفَيْنِ . وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لِذٰلِكَ ٱلزَّوْجِ ٱلْحَمَامِ . وَدَعَا ٱلْعَابِدُ لَهُمَا بِكَثْرَةِ ٱلنَّسْلِ فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا . وَلَمْ يَكُنِ ٱلْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْعَابِدُ . وَكَانَ ٱلسَّبَبُ فِي ٱجْتِمَاعِ ٱلْحَمَامِ بِٱلْعَابِدِ كَثْرَةَ تَسْبِيحِ ٱلْحَمَامِ . وَقِيلَ : إِنَّ ٱلْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُبْحَانَ خَالِقِ ٱلْخَلْقِ . وَقَاسِمِ ٱلرِّزْقِ . وَبَانِي ٱلسَّمٰوَاتِ . وَبَاسِطِ ٱلْأَرَضِينَ : وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ ٱلزَّوْجُ ٱلْحَمَامُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ ٱلْعَابِدُ . فَتَشَتَّتَ شَمْلُ ٱلْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي ٱلْمُدُنِ وَٱلْقُرَى وَٱلْجِبَالِ

حِكَايَةُ ٱلرَّاعِي ٱلْعَابِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ ٱلرُّعَاةِ . وَكَانَ صَاحِبَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا وَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا وَأَصْوَافِهَا . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلُ ٱلَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ ٱلرَّاعِي كَثِيرَ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْمَرْعَى وَٱلسِّبَاعِ . وَلَمْ يَكُنْ لِتِلْكَ ٱلْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى ٱلرَّاعِي وَلَا عَلَى غَنَمِهِ - وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي ٱلْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يَهُمُّهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ ٱلدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ . فَقَدَّرَ ٱللّٰهُ أَنَّهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَدَخَلَ ٱلْعَابِدُ فِي كَهْفِ ٱلْجَبَلِ . وَصَارَتِ ٱلْغَنَمُ تَخْرُجُ بِٱلنَّهَارِ إِلَى مَرْعَاهَا وَتَأْوِي بِٱللَّيْلِ إِلَى ٱلْكَهْفِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ ٱلرَّاعِي قَرْيَةٌ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ

بكائه . فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له : إنّ بالقرب منك في مكان كذا رجلاً صالحاً . فاذهب إليه وكن تحت طاعة أمره . فلمّا أصبح الصباح توجّه نحوه سائراً . فلمّا اشتدّ عليه الحرّ انتهى إلى شجرة عندها عين ماء تجري . فاستراح هناك وجلس في ظلّ تلك الشجرة . فإذا هو بوحوش وطيور أتت إلى تلك العين لتشرب منها . فلمّا رأت العابد جالساً نفرت منه ورجعت وشردت . فقال العابد : لا حول ولا قوّة إلّا بالله . إنّي لم أسترح هنا إلّا ضرراً على هذه الوحوش والطيور . فقام وقال معاتباً لنفسه : لقد أضرّ بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسي في هذا المكان . فما العذر بيني وبين خالقي وخالق هذه الطيور والوحوش فإنّي كنت سبباً لشرودها عن شربها وعن رزقها ومرعاها . فواخجلتي من ربّي يوم يقتصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء : ثمّ بكى وأنشد يقول هذه الأبيات

أما والله لو علم الأنام   لما خلقوا لما غفلوا وناموا

فموت ثمّ بعث ثمّ حشر   وتوبيخ وأهوال عظام

ونحن إذا انتهينا أو أمرنا   كأهل الكهف أيقاظ نيام

ثمّ بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها . وولّى سائحاً على وجهه حتّى أتى إلى الراعي فدخل إليه وسلّم عليه فردّ عليه السلام وعانقه وبكى . فقال له

الرَّاعِي: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هٰذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ. فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصِفُ لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ. فَأَتَيْتُكَ مُمْتَثِلًا لِمَا أُمِرْتُ بِهِ. فَقَبِلَهُ الرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ وَجَلَسَ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدَانِ اللّٰهَ فِي ذٰلِكَ الْغَارِ. فَحَسُنَتْ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ يَزَالَا فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَيَتَقَوَّتَانِ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ وَأَلْبَانِهَا مُتَجَرِّدَيْنِ عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا الْيَقِينُ. وَهٰذَا آخِرُ حَدِيثِهِمَا

حِكَايَاتُ مَلَاكِ الْمَوْتِ

الْحِكَايَةُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَقَدِّمِينَ. أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ يَوْمًا. فِي جُمْلَةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابِ دَوْلَتِهِ. وَيُظْهِرَ لِلْخَلَائِقِ عَجَائِبَ زِينَتِهِ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَأُمَرَاءَهُ وَكُبَرَاءَ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أُهْبَةَ الْخُرُوجِ مَعَهُ. وَأَمَرَ خَازِنَ الثِّيَابِ بِأَنْ يُحْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ مَا يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ فِي زِينَتِهِ. وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ خَيْلِهِ الْمَوْصُوفَةِ الْعِتَاقِ الْمَعْرُوفَةِ. فَفَعَلُوا ذٰلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَارَ مِنَ الثِّيَابِ مَا أَعْجَبَهُ. وَمِنَ الْخَيْلِ مَا اسْتَحْسَنَهُ. ثُمَّ لَبِسَ الثِّيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ. وَسَارَ بِالْمَوْكِبِ. وَالطَّوْقُ الْمُرَصَّعُ بِالْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدُّرِّ وَالْيَوَاقِيتِ. وَجَعَلَ

يَرْكضُ الحِصَانَ فِي عَسكَرِهِ. وَيَفتَخِرُ بِتِيهِهِ وَتَجَبُّرِهِ. فأَتَاهُ إِبْلِيسُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنخَرِهِ وَنَفَخَ فِي أَنفِهِ نَفْخَةَ الكِبْرِ وَالعُجْبِ فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفسِهِ: مَنْ فِي العَالَمِ مِثْلِي: وَطَفِقَ يَتِيهُ بِالعُجْبِ وَالكِبْرِ وَيُظهِرُ الأُبَّهَةَ. وَيَزْهُو بِالخُيَلَاءِ وَلَا يَنظُرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تِيهِهِ وَكِبْرِهِ. وَعُجْبِهِ وَفَخْرِهِ. فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ. فَقَبَضَ عَلَى عِنَانِ فَرَسِهِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: ارْفَعْ يَدَكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِعِنَانِ مَنْ قَدْ أَمْسَكْتَ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً: فَقَالَ: اصْبِرْ حَتَّى أَنْزِلَ وَاذْكُرْ حَاجَتَكَ. فَقَالَ: إِنَّهَا سِرٌّ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أُذُنِكَ. فَمَالَ بِسَمْعِهِ إِلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: أَنَا مَلَاكُ المَوْتِ. وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ. فَقَالَ: أَمْهِلْنِي بِقَدْرِ مَا أَعُودُ إِلَى بَيْتِي. وَأُوَدِّعُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجَتِي. فَقَالَ: كَلَّا. لَا تَعُودُ وَلَنْ تَرَاهُمْ أَبَدًا. فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُمْرِكَ. فَأَخَذَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ. فَخَرَّ مَيْتًا

وَمَضَى مَلَاكُ المَوْتِ مِنْ هُنَاكَ. فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا قَدْ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ. فَقَالَ مَلَاكُ المَوْتِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ. إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ سِرٌّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: اذْكُرْ حَاجَتَكَ فِي أُذُنِي فَقَالَ: أَنَا مَلَاكُ المَوْتِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: مَرْحَبًا بِكَ. الحَمْدُ للهِ عَلَى مَجِيئِكَ فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَّبُ وُصُولَكَ إِلَيَّ. وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ المُشْتَاقِ إِلَى قُدُومِكَ.

فَقَالَ لَهُ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ: إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَٱقْضِهِ. فَقَالَ لَهُ: لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: فَقَالَ: كَيْفَ تُحِبُّ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ. فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتَ وَٱخْتَرْتَ: فَقَالَ: أَمْهِلْنِي حَتَّى أَسْجُدَ وَأُصَلِّيَ. فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَٱقْبِضْ رُوحِي وَأَنَا سَاجِدٌ. فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَ رُوحَكَ إِلَّا بِٱخْتِيَارِكَ كَيْفَ أَرَدْتَ. وَأَنَا أَفْعَلُ مَا قُلْتَ. فَقَامَ ٱلرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى فَقَبَضَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ وَنَقَلَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلرِّضْوَانِ وَٱلْمَغْفِرَةِ

أَلْحِكَايَةُ ٱلثَّانِيَةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ كَانَ قَدْ جَمَعَ مَالًا عَظِيمًا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ. وَٱحْتَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى فِي ٱلدُّنْيَا لِيُرَفِّهَ نَفْسَهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنَ ٱلنِّعَمِ ٱلطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا مُرْتَفِعًا شَاهِقًا يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ وَيَكُونُ بِهِمْ لَائِقًا. ثُمَّ رَكَّبَ عَلَيْهِ بَابَيْنِ مُحْكَمَيْنِ وَرَتَّبَ لَهُ ٱلْغِلْمَانَ وَٱلْأَجْنَادَ وَٱلْبَوَّابِينَ كَمَا أَرَادَ. وَأَمَرَ ٱلطَّبَّاخَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ ٱلطَّعَامِ. وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ وَأَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَنَالُوا رِفْدَهُ. وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَسِيَادَتِهِ. وَٱتَّكَأَ عَلَى وِسَادَتِهِ. وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ: يَا نَفْسُ. قَدْ جَمَعْتُ لَكِ نِعَمَ ٱلدُّنْيَا بِأَسْرِهَا. فَٱلْآنَ تَفَرَّغِي وَكُلِي مِنْ هٰذِهِ

ٱلنِّعَمِ مُهَنَّأَةً بِٱلْعُمْرِ ٱلطَّوِيلِ . وَٱلْحَظِّ ٱلْجَزِيلِ . فَلَمْ يَفْرَغْ مِمَّا حَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ . حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ ظَاهِرِ ٱلْقَصْرِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ وَفِي عُنُقِهِ مِخْلَاةٌ مُعَلَّقَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَائِلٍ لِيَنَالَ ٱلطَّعَامَ . فَجَاءَ وَطَرَقَ حَلْقَةَ بَابِ ٱلْقَصْرِ طَرْقَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً . كَادَتْ تُزَلْزِلُ ٱلْقَصْرَ وَتُزْعِجُ ٱلسَّرِيرَ . فَخَافَ ٱلْغِلْمَانُ فَوَثَبُوا إِلَى ٱلْبَابِ وَصَاحُوا بِٱلطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ مَا هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ وَسُوءُ ٱلْأَدَبِ . ٱصْبِرْ حَتَّى يَأْكُلَ ٱلْمَلِكُ وَنُعْطِيَكَ مِمَّا يَفْضُلُ . فَقَالَ لِلْغِلْمَانِ : قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ يَخْرُجْ إِلَيَّ حَتَّى يُكَلِّمَنِي فَلِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ مُهِمٌّ وَأَمْرٌ مُلِمٌّ . فَقَالُوا : تَنَحَّ أَيُّهَا ٱلضَّعِيفُ مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَأْمُرَ صَاحِبَنَا بِٱلْخُرُوجِ إِلَيْكَ . فَقَالَ لَهُمْ : عَرِّفُوهُ ذٰلِكَ . فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَّفُوهُ . فَقَالَ : هَلَّا زَجَرْتُمُوهُ وَجَرَّدْتُمْ عَلَيْهِ وَنَهَرْتُمُوهُ . ثُمَّ طَرَقَ ٱلْبَابَ أَعْظَمَ مِنَ ٱلطَّرْقَةِ ٱلْأُولَى . فَنَهَضَ ٱلْغِلْمَانُ إِلَيْهِ بِٱلْعِصِيِّ وَٱلسِّلَاحِ وَقَصَدُوهُ لِيُحَارِبُوهُ . فَصَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً وَقَالَ : ٱلْزَمُوا أَمَاكِنَكُمْ . فَأَنَا مَلَكُ ٱلْمَوْتِ . فَرَعَبَتْ قُلُوبُهُمْ وَذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ وَطَاشَتْ حُلُومُهُمْ وَٱرْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ ٱلْحَرَكَةِ جَوَارِحُهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَلِكُ : قُولُوا لَهُ يَأْخُذْ بَدَلًا مِنِّي وَعِوَضًا عَنِّي . فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ : لَا آخُذُ بَدَلًا وَلَا أَتَيْتُ إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ لِأُفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلنِّعَمِ ٱلَّتِي جَمَعْتَهَا وَٱلْأَمْوَالِ ٱلَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا . فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ وَبَكَى وَقَالَ : لَعَنَ ٱللهُ ٱلْمَالَ ٱلَّذِي غَرَّنِي وَأَضَرَّنِي وَمَنَعَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي . وَكُنْتُ

أظن أنه ينفعني. فبقي اليوم حسرة علي ووبالا لدي. وها أنا أخرج صفر اليدين منه ويبقى لأعدائي. (قال) فأنطق الله المال وقال: لأي سبب تلعنني العن نفسك. فإن الله تعالى خلقني وإياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود مني لآخرتك وتتصدق بي على الفقراء والمساكين والضعفاء. ولتعمر بي المساجد والجسور والقناطر لأكون عونا لك في الدار الآخرة. وأنت جمعتني وخزنتني وفي هواك أنفقتني ولم تشكر لحقي بل كفرتني. فالآن تركتني لأعدائك وأنت بحسرتك وندامتك. فأي ذنب لي حتى تسبني. ثم إن ملك الموت قبض روحه وهو على سريره قبل أن يأكل الطعام. فخر ميتا ساقطا من فوق سريره كقوله: حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون

الحكاية الثالثة

حكي أن ملكا جبارا من ملوك بني إسرائيل. كان في بعض الأيام جالسا على سرير مملكته. فرأى رجلا قد دخل عليه من باب الدار وله صورة منكرة وهيئة هائلة. فاشمأز من هجومه عليه وفزع من هيئته فوثب في وجهه وقال: من أنت أيها الرجل. ومن أذن لك في الدخول علي وأمرك بالمجيء إلى داري. فقال: أمرني صاحب الدار. وأنا لا يحجبني حاجب ولا أحتاج في دخول الملوك إلى إذن. ولا أرهب سياسة سلطان ولا

كَثْرَةَ أَعْوَانٍ . أَنَا ٱلَّذِي لَا يُفْزِعُنِي جَبَّارٌ . وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضَتِي فِرَارٌ . أَنَا هَادِمُ ٱللَّذَّاتِ وَمُفَرِّقُ ٱلْجَمَاعَاتِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ هٰذَا ٱلْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ ٱلرِّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنْتَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِٱللّٰهِ إِلَّا مَا أَمْهَلْتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي . وَأَطْلُبَ ٱلْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَأَرُدَّ ٱلْأَمْوَالَ ٱلَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا . وَلَا أَتَحَمَّلَ مَشَقَّةَ حِسَابِهَا وَوَيْلَ عِقَابِهَا . فَقَالَ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ : هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ . لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ذٰلِكَ . وَكَيْفَ أُمْهِلُكَ وَأَيَّامُ عُمْرِكَ مَحْسُوبَةٌ . وَأَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ وَأَوْقَاتُكَ مُثْبُوتَةٌ مَكْتُوبَةٌ . فَقَالَ أَمْهِلْنِي سَاعَةً . فَقَالَ : إِنَّ ٱلسَّاعَةَ فِي ٱلْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ وَأَنْتَ غَافِلٌ . وَٱنْقَضَتْ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ . وَقَدِ ٱسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسَكَ . وَلَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفَسٌ وَاحِدٌ : فَقَالَ : مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى لَحْدِي . قَالَ : لَا يَكُونُ عِنْدَكَ إِلَّا عَمَلُكَ . فَقَالَ : مَا لِي عَمَلٌ . قَالَ : لَا جَرَمَ إِنَّهُ يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي ٱلنَّارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ ٱلْجَبَّارِ . ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ سَاقِطًا عَنْ سَرِيرِهِ . وَوَقَعَ إِلَى ٱلْأَرْضِ . فَحَصَلَ ٱلضَّجِيجُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَٱرْتَفَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ وَعَلَا ٱلصِّيَاحُ وَٱلْبُكَاءُ . وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ سُخْطِ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاؤُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ

ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ ٱلدَّائِمِ

حُكِيَ أَنَّ إِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ٱجْتَازَ فِي سَفَرِهِ بِقَوْمٍ ضُعَفَاءَ

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ ٱلدُّنْيَا. وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ. وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَهَّدُونَ تِلْكَ ٱلْقُبُورَ وَيَكْنُسُونَ ٱلتُّرَابَ عَنْهَا وَيُنَظِّفُونَهَا وَيَزُورُونَهَا وَيَعْبُدُونَ ٱللّٰهَ تَعَالَى فِيهَا وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا ٱلْحَشِيشُ وَنَبَاتُ ٱلْأَرْضِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْكَنْدَرُ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي مَلِكَهُمْ إِلَيْهِ فَلَمْ يُجِبْهُ وَقَالَ: مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ. فَسَارَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ وَقَالَ: كَيْفَ حَالُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ فِضَّةٍ وَلَا أَجِدُ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ ٱلدُّنْيَا. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَعِيمَ ٱلدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ. فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ: لِمَ حَفَرْتُمُ ٱلْقُبُورَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ. فَقَالَ: لِتَكُونَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا. فَنَنْظُرَ إِلَيْهَا وَنُجَدِّدَ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ وَلَا نَنْسَى ٱلْآخِرَةَ وَيَذْهَبَ حُبُّ ٱلدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا. فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى. فَقَالَ إِسْكَنْدَرُ: كَيْفَ تَأْكُلُونَ ٱلْحَشِيشَ. قَالَ: لِأَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا قُبُورَ ٱلْحَيَوَانَاتِ. وَلِأَنَّ لَذَّةَ ٱلطَّعَامِ لَا تَتَجَاوَزُ ٱلْحَلْقَ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قِحْفًا مِنْ رَأْسِ آدَمِيٍّ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَنْدَرَ وَقَالَ لَهُ: يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ. أَتَعْلَمُ مَنْ كَانَ صَاحِبَ هٰذَا. قَالَ: لَا. قَالَ: كَانَ صَاحِبُهُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلدُّنْيَا. فَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجُورُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى ٱلضُّعَفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي جَمْعِ حُطَامِ ٱلدُّنْيَا. فَقَبَضَ ٱللّٰهُ رُوحَهُ وَجَعَلَ ٱلنَّارَ مَقَرَّهُ وَهٰذَا رَأْسُهُ. ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ قِحْفًا آخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ هٰذَا

قَالَ: لَا. قَالَ هٰذَا كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ. شَفُوقًا عَلَى أَهْلِ وِلَايَتِهِ وَمُلْكِهِ. فَقَبَضَ ٱللّٰهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ وَقَالَ: تَرَى أَنْتَ أَيَّ هٰذَيْنِ ٱلرَّأْسَيْنِ. فَبَكَى ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَغِبْتَ فِي صُحْبَتِي. سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وِزَارَتِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَمْلَكَتِي. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هٰذَا. فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ. وَلِمَ ذٰلِكَ. قَالَ: لِأَنَّ ٱلْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ ٱلْمَالِ وَٱلْمُلْكِ ٱلَّذِي أُعْطِيتَهُ. وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي فِي ٱلْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ ٱلْقَنَاعَةِ وَٱلصَّعْلَكَةِ. لِأَنَّنِي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي ٱلدُّنْيَا. وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ. وَلَا فِيهَا أَدَبٌ. وَلَيْسَ لِي إِلَّا ٱلْقَنَاعَةُ حَسْبُ. فَضَمَّهُ إِسْكَنْدَرُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَٱنْصَرَفَ

نُخَبٌ
مِمَّا كَتَبَهُ بَعْضُ ٱلْعُلَمَاءِ
فِي ٱلْجُودِ وَٱلْكَرَمِ وَٱلْمُكَافَأَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ

فِي طَلَبَتَيْ أَعْمَيَيْنِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْمَيَيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أُمِّ جَعْفَرٍ.

وكانت موصوفة بالكرم . وكان أحدهما ذا عيال وأهل وكان يقول : اللهم ارزقني من فضلك الواسع . وكان الآخر عزبا لا أهل له وكان يقول : اللهم ارزقني من فضل أم جعفر . فصارت ترسل للطالب من فضل الله درهمين وترسل لطالب فضلها رغيفين بينهما دجاجة مشوية في بطنها عشرة دنانير لم تعلمه بها . فكان يكره ذلك ويقول للآخر : خذ هذين الرغيفين والدجاجة وأعطني الدرهمين فيفعل ذلك . فمضى على ذلك شهر ثم أرسلت أم جعفر تقول : قولوا لطالب فضلنا أما أغناك عطاؤنا . فقال لهم : قولوا لها ما أعطيته . فقالت : ثلاثمائة دينار . فقال : لا والله بل كانت ترسل لي دجاجة ورغيفين كل يوم وكنت أبيعها لصاحبي بدرهمين . فقالت أم جعفر : صدق الرجل . إنه طلب من فضل الله فأغناه الله من حيث لا يحتسب ولم يقصد غناه . والآخر طلب من فضلنا فرحمه الله (نوادر القليوبي)

في قط يقوت قطاً

حكى ابن خلكان وغيره في ترجمة الإمام أبي الحسن بن بابشاذ النحوي . أنه كان يوما على سطح جامع مصر يأكل شيئا وعنده بعض أصحابه . فحضرهم قط فرموا له لقمة في فيه وغاب عنهم . ثم عاد إليهم فرموا له لقمة ثانية فأخذها وذهب . ثم عاد فرموا له شيئا فأخذه وذهب . ثم عاد ففعل ذلك مرارا كثيرة وهم يرمون له وهو

يأخذ ويغيب ثم يعود من فوره فتعجبوا منه . فتبعوه فإذا هو يأخذ ذلك الطعام ويدخل به إلى خربة فيها شبه البيت الخراب وفي سطح ذلك البيت قط أعمى . فإذا هو يضع الطعام بين يديه فتعجبوا من ذلك . فقال الشيخ ابن باشاذ : إذا كان هذا حيوانًا أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلي . ثم قطع الشيخ علائقه وترك خدمة السلطان ولزم بيته وترك جميع أشغاله توكلا على الله تعالى إلى أن مات

(حياة الحيوان للداميري)

في جود ملك

قيل إن الملك خسرو بن برويز كان يحب أكل السمك وكان يومًا جالسًا في المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة وأهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقالت شيرين : بئس ما صنعت فقال الملك : لم . فقالت : لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك هذا القدر قال : قد أعطاني مثل عطية الصياد . فقال : لقد صدقت . ولكن يقبح بالملوك أن يرجعوا في هباتهم وقد فات الأمر . فقالت شيرين : أنا أدبر هذا الحال . فقال وكيف ذلك فقالت : تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر هي أم أنثى . فإن قال ذكر فقل : إنما طلبت أنثى . وإن قال أنثى فقل : إنما طلبت ذكرا . فنودي

ٱلصَّيَّادُ فَعَادَ . وَكَانَ ٱلصَّيَّادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ خِسْرُو : هٰذِهِ ٱلسَّمَكَةُ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى . فَقَبَّلَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هٰذِهِ ٱلسَّمَكَةُ خُنْثَى لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى . فَضَحِكَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَى ٱلصَّيَّادُ إِلَى ٱلْخَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهَمَّ بِٱلْخُرُوجِ فَوَقَعَ مِنَ ٱلْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ وَٱنْحَنَى عَلَى ٱلدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَٱلْمَلِكُ وَشِيرِينُ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ شِيرِينُ لِخِسْرُو : أَرَأَيْتَ خِسَّةَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَأَلْقَى عَنْ كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَٱنْحَنَى عَلَى ٱلدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهُلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَهُ لِيَأْخُذَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ ٱلْمَلِكِ . فَحَرِدَ خِسْرُو مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ : صَدَقْتِ يَا شِيرِينُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ ٱلصَّيَّادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ ٱلْهِمَّةِ لَسْتَ بِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هٰذَا ٱلْمَالَ عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسِفْتَ أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَكَانِهِ . فَقَبَّلَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَرْفَعْ ذٰلِكَ ٱلدِّرْهَمَ لِخَطَرِهِ عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ ٱلْأَرْضِ لِأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ صُورَةَ ٱلْمَلِكِ وَعَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلْآخَرِ ٱسْمَ ٱلْمَلِكِ . فَخَشِيتُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَضَعُ عَلَيْهِ قَدَمَيْهِ فَيَكُونُ ذٰلِكَ ٱسْتِخْفَافًا بِٱسْمِ ٱلْمَلِكِ وَأَكُونُ أَنَا ٱلْمُؤَاخَذَ بِهٰذَا . فَعَجِبَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَٱسْتَحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَعَادَ ٱلصَّيَّادُ وَمَعَهُ ٱثْنَا

عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَمَرَ خسرو مُنَادِيًا يُنَادِي لَا يَتَدَبَّرْ أَحَدٌ بِرَأْيِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ بِرَأْيِهِنَّ وَاعْتَمَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ

(التبر المسبوك للغزالي)

فِي جُودِ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَى فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرُ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُتَوَلِّ بِلَادَ الْيَمَنِ أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلَبِي وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِي إِلَيْهِ مَالًا . (قَالَ) فَاضْطُرِرْتُ لِشِدَّةِ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى لَوَّحَتْ وَجْهِي وَخَفَّفْتُ عَارِضِي وَلَبِسْتُ جُبَّةَ صُوفٍ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأُقِيمَ بِهَا . (قَالَ) فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ تَبِعَنِي أَسْوَدُ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى إِذَا غِبْتُ عَنِ الْحَرَسِ قَبَضَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَاخَهُ وَقَبَضَ عَلَى يَدِي . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا بِكَ . قَالَ : أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنَا حَتَّى أُطْلَبَ . فَقَالَ : أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هٰذَا اتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ . فَقَالَ : دَعْ هٰذَا فَإِنِّي لَأَعْرَفُ بِكَ مِنْكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّ قُلْتُ لَهُ : هٰذَا عِقْدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِي بِأَضْعَافِ مَا جَعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِمَنْ يَجِيئُهُ بِي . فَخُذْهُ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا لِسَفْكِ دَمِي . قَالَ : هَاتِهِ . فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ : صَدَقْتَ فِي قِيمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي

أطلقتك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود . فأخبرني هل وهبت مالك كله . قلت : لا . قال : فنصفه . قلت : لا . قال : فثلثه . قلت : لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : أظن أني قد فعلت هذا . قال : وما ذاك بعظيم . أنا رجل ورزقي من أبي جعفر المنصور كل شهر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير قد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس . ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى العقد في حجري وترك خطام الجمل وولى منصرفا . فقلت : يا هذا لقد فضحتني ولسفك دمي علي أهون مما فعلت فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه . فضحك وقال : أردت أن تكذبني في مقالي هذا . والله لا أخذته ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا . ومضى لسبيله . ثم طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا

(ثمرات الاوراق للحموي)

في المكافأة

مما جاء في المكافأة ما حكي عن الحسن بن سهل قال : كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لإحكام أمر من أمور الرشيد . فبينما نحن جلوس إذ دخل عليه جماعة من أصحاب الحوائج فقضاها لهم . ثم توجهوا لشأنهم فكان

آخرهم قياما أحمد بن أبي خالد الأحول. فنظر يحيى إليه والتفت إلى الفضل ابنه وقال: يا بني إن لأبيك مع أب هذا الفتى حديثا. فإذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدثك. فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل: أعزك الله يا أبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد الأحول. قال: نعم يا بني. لما قدم أبوك من العراق أيام المهدي كان فقيرا لا يملك شيئا. فاشتد بي الأمر إلى أن قال لي من في منزلي: إنا كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيء نقتات به. قال: فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا. وبقيت ولهان حيران مطرقا مفكرا. ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم: ما حال المنديل. فقالوا: هو باق عندنا. فقلت: ادفعوه إلي. فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابي وقلت له: بعه بما تيسر. فباعه بسبعة عشر درهما. فدفعتها إلى أهلي وقلت: أنفقوها إلى أن يرزق الله غيرها. ثم بكرت من الغد إلى باب أبي خالد وهو يومئذ وزير المهدي. فإذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا. فلما رآني سلم علي وقال: كيف حالك. فقلت: يا أبا خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس منديلا بسبعة عشر درهما. فنظر إلي نظرا شديدا وما أجابني جوابا. فرجعت إلى أهلي كسير القلب وأخبرتهم بما اتفق لي مع أبي خالد. فقالوا: بئس والله ما فعلت. توجهت إلى

رَجُلٍ كَانَ يَرْتَضِيكَ لِأَمْرٍ جَلِيلٍ فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى مَكْنُونِ أَمْرِكَ . فَأَزْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ وَصَغُرَتْ عِنْدَهُ مَنْزِلَتُكَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا . فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَيْنِ . فَقُلْتُ: قَدْ قَضَى الْأَمْرُ الْآنَ بِمَا لَا يُمْكِنُ اسْتِدْرَاكُهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَّرْتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ . فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قَدْ ذُكِرْتَ السَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمْ أَلْتَفِتْ لِقَوْلِهِ . فَاسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَمَقَالَةِ الْأَوَّلِ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي: أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَآنِي دَعَانِي وَأَمَرَ لِي بِمَرْكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: عَلَيَّ بِفُلَانٍ وَفُلَانٍ الْحَنَّاطَيْنِ فَأُحْضِرَا . فَقَالَ لَهُمَا: أَلَمْ تَشْتَرِيَا مِنِّي غَلَّاتِ السَّوَادِ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالَا: نَعَمْ . قَالَ: أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمَا قَالَا: بَلَى . قَالَ: هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمَا ثُمَّ قَالَ لِي: قُمْ مَعَهُمَا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي: ادْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ الرِّبْحُ الْهَنِيءُ . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي: إِنَّكَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَى وُكَلَاءَ وَأُمَنَاءَ وَكَيَّالِينَ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَنٍ لَمْ تَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شِرْكَتَكَ بِمَالٍ نُعَجِّلُهُ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ التَّعَبُ وَالْكُلَفُ . فَقُلْتُ لَهُمَا: وَكَمْ

تَبذُلَانِ لِي . فَقَالَا : مِائَةَ أَلفِ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ : لَا أَفعَلُ فَمَا زَالَا يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرضَى إِلَى أَنْ قَالَا لِي : ثَلاثَمِائَةِ أَلفِ دِرْهَمٍ وَلَا زِيَادَةَ عِندَنَا عَلَى هٰـذَا . فَقُلْتُ : حَتَّى أُشَاوِرَ أَبَا خَالِدٍ . قَالَا : ذٰلِكَ لَكَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : هَلْ وَافَقْتُمَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : اذْهَبَا فَاقْبِضَاهُ ٱلْمَالَ ٱلسَّاعَةَ . ثُمَّ قَالَ لِي : أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَلَّدْتُكَ ٱلْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَّدَنِي مَا وَعَدَنِي بِهِ . فَمَا زِلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ قَالَ لِوَلَدِهِ ٱلْفَضْلِ : يَا بُنَيَّ فَمَا تَقُولُ فِي ٱبْنِ مَنْ فَعَلَ بِأَبِيكَ هٰذَا ٱلْفِعلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقٌّ لَعَمْرِي وَجَبَ عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَٱللّٰهِ يَا وَلَدِي مَا أَجِدُ لَهُ مُكَافَأَةً غَيْرَ أَنِّي أَعْزِلُ نَفْسِي وَأُوَلِّيهِ . فَفَعَلَ ذٰلِكَ . وَهٰكَذَا تَكُونُ ٱلْمُكَافَأَةُ (للابشيهي)

ٱلصَّائِغُ وَصَائِغُ ٱلْخَلِيفَةِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلنَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ ٱلصِّيَاغَةِ وَكَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَٱفْتَقَرَ بَعْدَ غِنَاهُ فَكَرِهَ ٱلْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ فَٱنْتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ ٱلصَّاغَةِ فَوَجَدَ دُكَّانًا لِمُعَلِّمِ ٱلسَّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَّاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ ٱلْأَشْغَالَ لِلسَّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَةٌ ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَمَالِيكَ وَخَدَمٍ وَقُمَاشٍ وَغَيْرِ ذٰلِكَ . فَتَوَصَّلَ ٱلصَّائِغُ ٱلْغَرِيبُ إِلَى أَنْ بَقِيَ مِنْ أَحَدِ ٱلصُّنَّاعِ ٱلَّذِينَ فِي دُكَّانِ هٰذَا ٱلْمُعَلِّمِ . وَأَقَامَ يَعْمَلُ عِنْدَهُ مُدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ

ٱلنَّهَارُ دَفَعَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَتَكُونُ أُجْرَةُ عَمَلِهِ تُسَاوِي عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ طَلَبَ ٱلْمُعَلِّمَ وَنَاوَلَهُ فَرْدَةَ سِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعَةً بِفُصُوصٍ فِي غَايَةٍ مِنَ ٱلْحُسْنِ قَدْ عُمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِ إِحْدَى حَظَايَاهُ فَٱنْكَسَرَتْ. فَقَالَ لَهُ: ٱلْحِمْهَا. فَأَخَذَهَا ٱلْمُعَلِّمُ وَقَدِ ٱضْطَرَبَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهَا. فَلَمَّا أَخَذَهَا وَأَرَاهَا لِلصُّنَّاعِ ٱلَّذِينَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ فَمَا قَالَ لَهُ أَحَدٌ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا. فَٱزْدَادَ ٱلْمُعَلِّمُ لِذَلِكَ غَمًّا وَمَضَتْ مُدَّةٌ وَهِيَ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ. فَٱشْتَدَّ ٱلْمَلِكُ عَلَى إِحْضَارِهَا وَقَالَ: هٰذَا ٱلْمُعَلِّمُ نَالَ مِنْ جِهَتِنَا هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَلْحَمَ سِوَارًا. فَلَمَّا رَأَى ٱلصَّانِعُ ٱلْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ ٱلْمُعَلِّمَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: هٰذَا وَقْتُ ٱلْمُرُوَّاتِ أَعْمَلُهَا وَلَا أُوَاخِذُهُ بِبُخْلِهِ عَلَيَّ وَعَدَمِ إِنْصَافِهِ وَلَعَلَّهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ. فَحَطَّ يَدَهُ فِي دُرْجِ ٱلْمُعَلِّمِ وَأَخَذَهَا وَفَكَّ جَوَاهِرَهَا وَسَبَكَهَا. ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَمَ عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا فَعَادَتْ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ. فَلَمَّا رَآهَا ٱلْمُعَلِّمُ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا. ثُمَّ مَضَى بِهَا إِلَى ٱلْمَلِكِ فَلَمَّا رَآهَا ٱسْتَحْسَنَهَا وَٱدَّعَى ٱلْمُعَلِّمُ أَنَّهَا صَنْعَتُهُ. فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً. فَجَاءَ وَجَلَسَ مَكَانَهُ فَبَقِيَ ٱلصَّانِعُ يَرْجُو مُكَافَأَتَهُ عَمَّا عَامَلَهُ بِهِ فَمَا ٱلْتَفَتَ إِلَيْهِ ٱلْمُعَلِّمُ. وَلَمَّا كَانَ ٱلنَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ شَيْئًا. فَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ وَإِذَا ٱلْمَلِكُ ٱخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجَيْ أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ ٱلصُّورَةِ فَطَلَبَ

ٱلْمُعَلِّمَ وَرَسَمَ لَهُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ ٱلصَّفَةِ وَسُرْعَةِ ٱلْعَمَلِ . فَجَاءَ إِلَى ٱلصَّانِعِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ ٱلْمَلِكُ . فَٱمْتَثَلَ مَرْسُومَهُ وَلَمْ يَزَلْ مُنْتَصِبًا إِلَى أَنْ عَمِلَ ٱلزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيدُهُ شَيْئًا عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا يَشْكُرُهُ وَلَا يَعِدُهُ بِخَيْرٍ وَلَا يَتَجَمَّلُ مَعَهُ . فَرَأَى ٱلْمَصْلَحَةَ أَنْ يَنْقُشَ عَلَى زَوْجٍ مِنْهُمَا أَبْيَاتًا يَشْرَحُ فِيهَا حَالَهُ لِيَقِفَ عَلَيْهَا ٱلْمَلِكُ . فَنَقَشَ فِي بَاطِنِ أَحَدِهِمَا هٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتَ نَقْشًا خَفِيًّا يَقُولُ :

مَصَائِبُ ٱلدَّهْرِ كُفِّي ... إِنْ لَمْ تَكُفِّي فَعِفِّي

خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِي ... وَجَدْتُ رِزْقِي تُوُفِّي

فَلَا بِرِزْقِي أَحْظَى ... وَلَا بِصَنْعَةِ كَفِّي

كَمْ جَاهِلٍ فِي ٱلثُّرَيَّا ... وَعَالِمٍ مُتَخَفِّي

(قَالَ) وَعَزَمَ ٱلصَّانِعُ عَلَى أَنَّهُ إِنْ ظَهَرَتِ ٱلْأَبْيَاتُ لِلْمُعَلِّمِ شَرَحَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَرَهَا كَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ تَوَصُّلِهِ إِلَى ٱلْمَلِكِ . ثُمَّ لَفَّهُمَا فِي قُطْنٍ وَنَاوَلَهُمَا لِلْمُعَلِّمِ فَرَأَى ظَاهِرَهُمَا وَلَمْ يَرَ بَاطِنَهُمَا لِجَهْلِهِ بِٱلصَّنْعَةِ وَلِمَا سَبَقَ لَهُ فِي ٱلْقَضَاءِ . فَأَخَذَهُمَا ٱلْمُعَلِّمُ وَمَضَى بِهِمَا فَرِحًا إِلَى ٱلْمَلِكِ وَقَدَّمَهُمَا إِلَيْهِ . فَلَمْ يَشُكَّ فِي أَنَّهُمَا صَنْعَتُهُ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَشَكَرَهُ . ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ مَكَانَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى ٱلصَّانِعِ وَمَا زَادَهُ فِي آخِرِ ٱلنَّهَارِ شَيْئًا عَلَى ٱلدِّرْهَمَيْنِ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي خَلَا خَاطِرُ ٱلْمَلِكِ فَٱسْتَحْضَرَ ٱلْحَظِيَّةَ ٱلَّتِي عَمِلَ لَهَا ٱلسَّوَارَيْنِ ٱلذَّهَبَ

فحضرت وهما في يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما . فقرأ الأبيات فتعجب وقال : هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب . فغضب عند ذلك وأمر بإحضار المعلم . فلما حضر قال له : من عمل هذين السوارين . قال : أنا أيها الملك . قال : فما سبب نقش هذه الأبيات . قال : لم يكن عليهما أبيات . قال : كذبت ثم أراه النقش وقال : إن لم تصدقني الحق لأضربن عنقك . فصدقه الحق فأمر الملك بإحضار الصانع . فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم . فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وأن يكون عوضا عنه في الخدمة . ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا . فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الأول وصارا شريكين ومكثا على ذلك إلى آخر العمر

إحسان كريم إلى عدوه

حكي أنه كان بين غسان بن عباد وبين علي بن موسى عداوة عظيمة وكان علي بن موسى ضامنا أعمال خراج كضياع وغيره فبقيت عليه بقية مقدار أربعين ألف دينار . فألح عليه المأمون بطلبها وشدد بها إلى أن قال لعلي بن صالح حاجبه : أمهله ثلاثة أيام فإن أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يدفع المال أو يتلف . فانصرف علي بن موسى من دار المأمون

وقد ارتاع وهو لا يعرف وجها يتجه إليه. فقال له كاتبه: إذا عرجت على غسان بن عباد وعرفته خبرك رجوت أن يعينك على أمرك. فقال له: إن بيني وبينه من العداوة ما عرفت. فقال له: نعم ولكن الرجل أريحي كريم لا تمنعه العداوة التي بينكما عن فعل المعروف الذي هو من شيم الكرام. فقام علي بن موسى ومضى إلى أن جاء ودخل مع كاتبه على غسان بن عباد. فلما رآه غسان قام إليه وتلقاه جميلا ووفاه حقه في الخدمة وقال له: دع الأمر الذي بيني وبينك على حاله ولكن دخولك إلى داري توجب حرمته بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة. فقص كاتبه عليه القصة. فقال له غسان: أرجو أن يكفيك الله تعالى صعوبة أمرك ولم يزد على ذلك شيئا. فقام علي بن موسى من عنده وهو نادم على قصده غسان ويئس من أمره وقال لكاتبه: ما أفدتني بالدخول على غسان سوى تعجيل الشماتة والهوان. فلم يصل علي بن موسى إلى داره حتى حضر إليه كاتب غسان ومعه البغال وعليها المال فتقدم علي بن موسى وتسلمه وبات فرحا مسرورا. وعند الصباح بكر إلى دار أمير المؤمنين ليدفع المال فوجد غسان قد سبقه هناك ودخل على المأمون وقال له: يا أمير المؤمنين إن لعلي بن موسى بحضرتك حرمة وخدمة وسابق أصل وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس وقد توعدته من

الضرب بالسياط ما أطار عقله وأذهب لبه. فإن رأى أمير المؤمنين أن يجزيني من حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة لي من إحسانه. ولم يزل غسان يتلطف بالمأمون حتى حط عنه نصف ما عليه واقتصر منه بالنصف عشرين ألف دينار. فقال غسان للمأمون: سمعا وطاعة ولكن على أن يجدد أمير المؤمنين له الضمان ويخلع عليه لكي تقوى نفسه ويعرف بها مكان الرضا عليه من أمير المؤمنين أبقاه الله. فأجاب المأمون إلى ذلك. فقال له غسان: إن شاء أمير المؤمنين فلتحمل الدواة إلى حضرته لتوقيع ما سمح به في ما قال. قال: أفعل. فحملت الدواة إلى المأمون وقدمها غسان له فوقع حينئذ لعلي بن موسى. وخرج علي بن موسى والخلع على كتفيه والتوقيع بيده. فلما حضر إلى داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها إلى غسان وشكره على جميل فعله. فقال غسان لكاتبه: والله ما شفعت به عند أمير المؤمنين إلا لتتوفر عليه العشرون ألف دينار وينتفع بها هو فامض بها إليه وردها له فلست والله آخذها فهي له. فلما رجع الكاتب إلى علي بن موسى مولاه وبلغه ما قال عرف عند ذلك قدر ما فعله غسان من الجميل. ولم يزل يخدمه ويوقره إلى آخر العمر

الأصمعي ورجل سخي

حكى الأصمعي قال: قصدت في بعض الأيام رجلا كنت

آتيه أحيانًا كثيرة لكرمه وجوده. فلما أتيت داره وجدت على بابه بوابًا فمنعني من الدخول إليه وقال لي: والله يا أصمعي ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك إلا لرقة حاله وقصور يده وما هو فيه من الضيق. فقلت له: أريد أن أكتب له رقعة أوصلها إليه. فقال: سمعًا وطاعة. فأحضر لي قرطاسًا وقلمًا ودواة فأخذت وكتبت له شعرًا:

إذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

ثم طويت الرقعة ودفعتها إلى الحاجب وقلت له: أوصل هذه الرقعة إليه. ففعل ومضى بالرقعة قليلًا. ثم عاد إلي بالرقعة عينها وقد كتب تحت شعري جوابًا شعرًا:

إذا كان الكريم قليل مال تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار. فتعجبت من سخائه مع قلة ما بيده فقلت في نفسي: والله لأتحفن هارون الرشيد بهذا الخبر. فانطلقت حتى أتيت قصر الخلافة فاستأذنت ودخلت فسلمت عليه بالخلافة. فلما رآني قال لي: من أين يا أصمعي. قلت: من عند رجل من أكرم الأحياء بعد أمير المؤمنين. قال: ومن هو. فدفعت له الرقعة والصرة وسردت عليه الخبر. فلما رأى الصرة قال: هذه من بيت مالي ولا بد لي من الرجل. فقلت: والله يا أمير المؤمنين إني أستحي أن أكون سبب روعه

بإرسالك إليه . فقال : لا يغمك ذلك . ثم التفت إلى بعض خاصته وقال له : امضِ مع الأصمعي فإذا أراك دارا فادخل وقل لصاحبه : أجب أمير المؤمنين وليكن دعاؤك له بلطافة من غير أن تزعجه . قال الأصمعي : فمضينا ودعونا الرجل فجاء ودخل على أمير المؤمنين وسلم بالخلافة . فقال له هارون الرشيد ألست أنت الذي وقفت لنا بالأمس وشكوت لنا رقة حالك وقلت إنك في ضيق شديد من الاحتياج فرحمناك ووهبنا لك هذه الصرة لتصلح بها حالك وقد قصدك الأصمعي ببيت من الشعر فدفعتها له . فقال : نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت في ما شكوته لأمير المؤمنين من رقة حالي وشدة احتياجي ولكني استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين . فقال هارون الرشيد : لله در بطن أتاك فما ولدت العرب أكرم منك . ثم بالغ بإكرامه وخلع عليه وجعله من خاصته

• إكرام ثلاثة أصدقاء مخلصين بعضهم بعضا

نقل عن الواقدي قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا في الصداقة كنفس واحدة . فنالني ضيقة شديدة وقد حضر العيد . فقالت لي امرأتي : يا مولاي أما نحن فقد نصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبي عليهم حزنا

وَرَحْمَةً لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ صِبْيَانَ جِيرَانِنَا وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَزَيَّنُوا فِي ٱلْعِيدِ وَهُمْ فَرِحُونَ. فَلَا بَأْسَ إِذَا ٱحْتَلْنَا فِي مَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي كُسْوَتِهِمْ. فَرَأَيْتُ كِلَاهُمَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَعَتْ فُؤَادِي مِنْ هٰذَا ٱلْحَدِيثِ. فَفَكَّرْتُ فِي ٱلْحِيلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ ٱلتَّوْسِعَةَ عَلَيَّ بِمَا يُمْكِنُهُ وَيَحْضُرُهُ. فَوَجَّهَ إِلَيَّ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِرْهَمٍ. فَمَا ٱسْتَقَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي ٱلْآخَرُ يَشْكُو إِلَيَّ مِثْلَمَا شَكَوْتُ أَنَا إِلَى صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيِّ. فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِٱلْكِيسِ عَلَى حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ وَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنِ ٱمْرَأَتِي. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمَتْ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تُعَنِّفْنِي. فَبَيْنَمَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ صَدِيقِي ٱلْهَاشِمِيُّ وَمَعَهُ ٱلْكِيسُ وَهُوَ بَاقٍ بِخَتْمِهِ فَقَالَ: أَصْدِقْنِي عَمَّا فَعَلْتَهُ بِمَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ. فَأَخْبَرْتُهُ بِٱلْحِكَايَةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا. فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي ٱلتَّوْسِعَةَ وَأَنَا وَٱللهِ ثُمَّ وَٱللهِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى هٰذَا ٱلْكِيسِ ٱلَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ. ثُمَّ إِنِّي بَعْدَمَا أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ ٱلْمُوَاسَاةَ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوَجَّهَ إِلَيَّ ٱلْكِيسَ بِذَاتِهِ وَهُوَ بِخَتْمِي وَهَا أَنَا ذَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ. وَبِحَيْثُ إِنَّنَا كُلَّنَا فِي ضِيقٍ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ أَحَدِنَا غَيْرُ هٰذَا ٱلْكِيسِ فَهَلُمَّ نَقْتَسِمْهُ. ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلٍّ مِنَّا أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةٍ. وَبَلَغَ ٱلْمَأْمُونَ ذٰلِكَ فَأَرْسَلَ ٱسْتَدْعَانِي وَسَأَلَنِي عَنِ ٱلْقَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا

هِيَ فَٱسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلٍّ مِنَّا بِأَلْفَيْ دِينَارٍ وَلَا نَرَى أَتِي بِأَلْفِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

فِي تَقْدِيمِ ٱلْإِكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غَزَارَةِ حِفْظِ ذِي ٱلْوِزَارَتَيْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱلْمَجِيدِ بْنِ عَبْدُونَ مَا حَدَّثَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱبْنِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ زُهْرِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ زُهْرٍ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هٰذَا قَدْ مَاتَ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ نَيَّفَ عَلَى ٱلثَّمَانِينَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيزِ دَارِنَا وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ ٱلْأَغَانِي. فَجَاءَ ٱلنَّاسِخُ بِٱلْكَرَارِيسِ ٱلَّتِي كَتَبَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ ٱلْأَصْلُ ٱلَّذِي كَتَبْتَ مِنْهُ لِأُقَابِلَ مَعَكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِي. فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ فِي ذٰلِكَ إِذْ دَخَلَ ٱلدِّهْلِيزَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَذُّ ٱلْهَيْئَةِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ أَكْثَرُهَا صُوفٌ. وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَاثَهَا مِنْ غَيْرِ إِتْقَانٍ لَهَا. فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ ٱلْبَادِيَةِ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ وَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ ٱسْتَأْذِنْ لِي عَلَى ٱلْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ هٰذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ ٱلتَّكَلُّفِ حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ نَزْوَةُ ٱلصِّبَى وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُشُونَةِ هَيْئَةِ ٱلرَّجُلِ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ: مَا هٰذَا ٱلْكِتَابُ ٱلَّذِي بِأَيْدِيكُمَا. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سُؤَالُكَ عَنْهُ. قَالَ: أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ ٱسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ ٱلْكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ ٱلْأَغَانِي. فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ بَلَغَ ٱلْكَاتِبُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا

وجعلت أتحدث معه على طريق السخرية به والضحك على قائله. فقال: وما لكاتبك لا يكتب. قلت: طلبت منه الأصل الذي يكتب منه لأعارض به هذه الأوراق فقال: لم أجئ به معي. فقال: يا بني خذ كراريسك وعارض. قلت: بماذا وأين الأصل. قال: كنت أحفظ هذا الكتاب في مدة صباي. قال: فتبسمت من قوله فلما رأى تبسمي. قال: يا بني أمسك علي. قال: فأمسكت عليه وجعل يقرأ. فوالله ما أخطأ واوا ولا فاء قرأ هكذا نحوا من كراستين. فأخذني العجب ثم أخذت له في وسط السفر وآخره فرأيت حفظه في ذلك كله سواء فاشتد عجبي وقمت مسرعا حتى دخلت على أبي فأخبرته بالخبر ووصفت له الرجل. فقام كما هو من فوره وكان ملتفا برداء ليس عليه قميص. وخرج حاسر الرأس حافي القدمين لا يرفق على نفسه وأنا بين يديه وهو يوسعني لوما حتى ترامى على الرجل وعانقه وجعل يقبل رأسه ويديه ويقول: يا مولاي اعذرني فوالله ما أعلمني هذا الخلف إلا الساعة وجعل يسبني والرجل يخفض عليه ويقول: ما عرفني. وأبي يقول: هبه ما عرفك فما عذره في حسن الأدب. ثم أدخله الدار وأكرم مجلسه وخلا به فتحدثا طويلا. ثم خرج الرجل وأبي بين يديه حافيا حتى بلغ الباب. وأمر بدابته التي يركبها فأسرجت وحلف عليه ليركبنها ثم لا ترجع إليه أبدا. فلما انفصل قلت لأبي: من

هذا الرجل الذي عظمته هذا التعظيم . قال لي : اسكت ويحك . هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها في علم الآداب . هذا أبو محمد عبد المجيد بن عبدون . أيسر محفوظاته كتاب الأغاني وما حفظه في ذكاء خاطره وجودة قريحته . (محيي الدين المراكشي)

في وضع المعروف في موضعه والاصطفاء بعد الخبرة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف اضرب لي مثلاً في شأن الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه . قال الفيلسوف : أيها الملك إن طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله في الدنيا مما يمشي على أربع قوائم أو على رجلين أو يطير بجناحين شيء هو أفضل من الإنسان . ولكن من الناس البر والفاجر . وقد يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة على حرمة وأشكر للمعروف وأقوم به . وحينئذ يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه ولا يضيعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره . ولا يصطفوا أحداً إلا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا ينبغي أن يختصوا بذلك قريباً لقرابته إذا كان غير محتمل للصنيعة ولا أن يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد إذا كان يفيهم بنفسه وما يقدر عليه . لأنه يكون حينئذ عارفاً بحق ما اصطنع إليه مؤدياً لشكر ما أنعم عليه محموداً بالنصح معروفاً بالخير صدوقاً

عارفاً مؤثراً الحميد الفعال والقول. وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها كان للمعروف موضعاً ولتقريبه واصطناعه أهلاً. فإن الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض إلا بعد النظر إليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته. فإذا عرف ذلك كله حق معرفته أقدم على مداواته. فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفي أحداً ولا يستخلصه إلا بعد الخبرة. فإن من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطراً في ذلك ومشرفاً منه على هلاك وفساد. ومع ذلك ربما صنع الإنسان المعروف مع الضعيف الذي لم يجرب شكره ولم يعرف حاله في طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة. وربما تحذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحداً منهم. وقد يأخذ ابن عرس فيدخله في كمه ويخرجه من الأخرى كالذي يحمل الطائر على يده فإذا صاد شيئاً انتفع به وأطعمه منه. وقد قيل: لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر صغيراً ولا كبيراً من الناس ولا من البهائم. ولكنه جدير بأن يبلوهم ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم. وقد مضت في ذلك أمثال ضربها الحكماء (كليلة ودمنة)

الحية والإنسان

ذكر أن واحداً من الأكياس طلب العزلة عن الناس ولازم انقطاعه وانقطع عن الجمعة والجماعة. واشتغل لإقامة أوده بالزراعة.

وَٱنعزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ. وَصَاحَبَ حَيَّةً كَانَتْ تَأْنَسُ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ. وَتَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ. فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا ٱلْمُعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى ٱلْمُعَاقَدَةِ. بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ ٱلْمُمَاذَقَةِ. وَلَا تَكُونَ كَصُحْبَةِ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَانِ. تَكْرَعُ مِنَ ٱلْغَدْرِ فِي غُدْرَانٍ. وَلَا مَشُوبَةً بِنِفَاقٍ. وَلَا مَدْخُولَةً بِرِيَاءٍ وَشِقَاقٍ. وَأَنْ تَنْعَقِدَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوَدَّةُ وَٱلْإِخَاءُ. فِي حَالَتَيِ ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ. فَمَرَّا عَلَى هٰذَا مُدَّةً وَكُلٌّ حَافِظٌ عَهْدَهُ مُرَاعٍ صُحْبَتَهُ وَوُدَّهُ. وَكَانَ ٱلرَّجُلُ إِذَا عَنَّتْ لَهُ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى ٱلْحَيَّةِ وَٱسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ أَخْبَارَهَا. وَتَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ. وَتَتَرَامَى عَلَى رِجْلَيْهِ. فَفِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ. وَعَامٍ مِنَ ٱلْأَعْوَامِ. وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ. وَثَلْجٌ وَجَلِيدٌ. فَرَأَى ٱلْحَيَّةَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَاهَا. وَخَمَدَتْ أَعْضَاهَا. وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ. وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ. فَحَمَلَتْهُ ٱلشَّفَقَةُ وَٱلصَّدَاقَةُ وَٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَحْكَمَا وِثَاقَهُ عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مِخْلَاةِ حِمَارِهِ وَأَدْنَاهَا وَوَضَعَ ٱلْمِخْلَاةَ فِي رَأْسِ ٱلْبَهِيمِ. وَتَوَجَّهَ لِضَرُورَةِ ذٰلِكَ ٱلْهَمِيمِ. فَحَسَّتِ ٱلْحَيَّةُ بِنَفَسِ أَبِي زِيَادٍ. وَتَحَرَّكَ عِرْقُ ٱلْعُدْوَانِ ٱلْقَدِيمِ وَعَادَ. وَفَعَلَ خُبْثُهَا خَاصِيَّتَهُ ٱلْمَأْلُوفَةَ. وَلَعِبَ سُمُّهَا سَجِيَّتَهُ ٱلْمَعْرُوفَةَ. مُنْشِدًا حَدِيثَهُ. حَرَامٌ عَلَى ٱلنَّفْسِ ٱلْخَبِيثَةِ. أَنْ تَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا حَتَّى تُسِيءَ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا. فَعَضَّتِ ٱلْحَيَّةُ شَفَةَ ٱلْحِمَارِ وَرَدَّ مَكَانَهُ مِنْ حَرِّهَا. وَهَرَبَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا. وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا يَا ذَوِي ٱلْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ صَحِبَ ٱلْأَشْرَارَ. وَرَغِبَ

فِي مَوَدَّةِ ٱلْفُجَّارِ. لَا يَأْمَنُ ٱلْعِثَارَ. وَلَا يَسْلَمُ مِنَ ٱلْأَنْكَادِ وَٱلْبَوَارِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَٱلْمُتَحَاكِمَانِ

حُكِيَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ ٱلْمُلُوكِ قِيلَ: إِنَّ رَجُلًا ٱشْتَرَى دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ ٱلْمُشْتَرِي فِيهَا كَنْزًا فَمَضَى إِلَى ٱلْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ ٱلْبَائِعُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَنْزًا وَإِنْ كَانَ فِيهَا كَنْزٌ فَهُوَ لَكَ. فَقَالَ ٱلْمُشْتَرِي: لَا بُدَّ أَنْ تَأْخُذَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيمَا ٱشْتَرَيْتُ. فَطَالَ ٱلْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَاكَمَا إِلَى ٱلْمَلِكِ كِسْرَى. فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ ٱلْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: هَلْ لَكُمَا أَوْلَادٌ. فَقَالَا: نَعَمْ. فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا: أَنْفِقَا ذٰلِكَ ٱلْكَنْزَ فِي مَصَالِحِهِمْ. فَفَعَلَا ذٰلِكَ (للقليوبي)

ٱلْمَجُوسِيَّانِ وَٱلنَّارُ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ مَجُوسِيَّانِ يَعْبُدَانِ ٱلنَّارَ. فَقَالَ ٱلْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ ٱلْأَكْبَرِ: أَيُّهَا ٱلْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هٰذِهِ ٱلنَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالَ نَنْظُرْ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهَا. فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا عَبَدْنَاهَا وَإِلَّا فَلَا. فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ ٱلْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ: هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ. فَقَالَ لَهُ: ضَعْ أَنْتَ فَوَضَعَ ٱلْأَصْغَرُ يَدَهُ فَحُرِقَتْ إِصْبَعُهُ فَنَزَعَ يَدَهُ وَقَالَ: آهِ أَعْبُدُكِ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتِ

تُؤْذِينِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي تَعَالَ نَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذْنَبْنَا وَتَرَكْنَاهُ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ لَيَتَجَاوَزُ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ. فَأَجَابَهُ أَخُوهُ إِلَى ذٰلِكَ (للقليوبي)

فِي حِيلَةِ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلسَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ. فَبَذَلَ ٱلطَّبَرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذٰلِكَ فَمَا أَمْكَنَهُ. فَبَعَثَ ٱلسُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا. فَعَلِمَ ٱلطَّبَرِيُّ أَنَّ ٱلْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا بِغَيْضَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ. فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَتَرْكِهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً. وَسَتَرَ مَوْضِعَ ٱلْقَطْعِ بِٱلتُّرَابِ. فَلَمَّا وَصَلَ ٱلْجَيْشُ وَنَزَلُوا بِهَا كَمَنَ ٱلطَّبَرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَلْفَ ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ. وَشَدَّ ٱلْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِي أَشْجَارِ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً. فَخَرَجَ عَلَيْهِمِ ٱلطَّبَرِيُّ بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَنَفَرَتِ ٱلدَّوَابُّ وَتَسَاقَطَتِ ٱلْأَشْجَارُ لِأَنَّ ٱلدَّوَابَّ جَرَّتْهَا. فَوَلَّى ٱلْجُنْدُ هَارِبِينَ فَزِعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ ٱلطَّبَرِيُّ بِٱلْقَتْلِ وَٱلْأَسْرِ فَنَجَا أَقَلُّهُمْ وَتَلِفَ أَكْثَرُهُمْ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى ٱلسُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا: نَزَلْنَا بِٱلْمَوْضِعِ ٱلْفُلَانِيِّ وَأَتَانَا فِي جُنْحِ ٱللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ ٱلشَّيَاطِينِ تَضْرِبُنَا بِٱلْأَشْجَارِ ٱلطَّوِيلَةِ. فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُتَقَوِّمِينَ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْمَشْيَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ (للقزويني)

فِي ٱلصَّبْرِ وَٱلْمُرُوءَةِ

يُرْوَى عَن بَعْضِ ٱلْكُرَمَاءِ أَنَّهُ ٱسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ. وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا. وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ ٱلنَّاسِ وَجْهًا وَأَكْمَلِهِمْ ظَرْفًا وَأَتَمِّهِمْ أَدَبًا وَلُطْفًا. فَكَانَ فِي أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ يَخْدُمُ ٱلْجَمَاعَةَ وَيُؤَانِسُهُمْ. فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي ٱلدَّارِ فَوَقَعَ مَيْتًا. فَأَرَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ يُظْهِرْنَ ٱلْبُكَاءَ عَلَيْهِ. فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ. وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ حَتَّى يَنْصَرِفَ ٱلْقَوْمُ. فَإِنَّ ذَٰلِكَ يُنَغِّصُ عَلَيْهِمْ عُرْسَهُمْ وَلَذَّتَهُ. فَٱمْتَثَلُوا مَا أَشَارَ بِهِ. وَعَادَ إِلَى ٱلْقَوْمِ. فَحَضَرَ ٱلسَّمَاعَ وَأَظْهَرَ ٱلْمَسَرَّةَ وَٱلْأُنْسَ بِهِمْ. فَجَعَلَ ٱلْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ ٱلشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ. فَيَقُولُ وَالِدُهُ: لَعَلَّهُ قَدْ نَامَ. فَأَدْرَكَهُمُ ٱللَّيْلُ. وَبَاتُوا فِي ٱلسَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ ٱللّٰهِ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَدَّمَ لَهُمُ ٱلْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَأَرَادُوا ٱلِٱنْصِرَافَ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَحْضُرُونَ جَنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ ٱلْبَارِحَةَ. وَقَصَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقِصَّةَ. فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱسْتَعْظَمَ مُرُوءَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِجَمِيلِ صَبْرِهِ وَعِظَمِ كَرَمِهِ (تزيين الاسواق)

مَوْتُ ٱلْمُتَنَبِّي

قِيلَ إِنَّ أَبَا ٱلطَّيِّبِ ٱلْمُتَنَبِّي كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ بِجَائِزَةٍ أَجَازَهُ بِهَا عَضُدُ ٱلدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ.

فَخَرَجَ عَلَيْهِ قُطَّاعُ ٱلطَّرِيقِ فَهَرَبَ ٱلْمُتَنَبِّي مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ :
أَتَهْرُبُ وَأَنْتَ ٱلْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

ٱلْخَيْلُ وَٱللَّيْلُ وَٱلْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
وَٱلضَّرْبُ وَٱلْحَرْبُ وَٱلْقِرْطَاسُ وَٱلْقَلَمُ

فَكَرَّ رَاجِعاً فَقُتِلَ فِي سَنَةِ ٣٥٤ فَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتُ سَبَباً لِقَتْلِهِ

(للقليوبي)

ٱلْحَرِيرِيُّ وَٱلْغُلَامُ

يُحْكَى عَنِ ٱلْحَرِيرِيِّ أَنَّهُ كَانَ بَشِعَ ٱلْمَنْظَرِ رَثَّ ٱلْهَيْئَةِ . فَجَلَسَ غُلَامُهُ يَوْماً فِي خَلْوَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ ٱلنَّظْمَ فَأَوَّلُ مَا نَظَمَ نِصْفُ بَيْتٍ وَهُوَ : وَجْهُ ٱلْحَرِيرِيِّ وَجْهُ قِرْدٍ . فَسَمِعَهُ ٱلْحَرِيرِيُّ فَقَالَ : وَٱلضَّرُورَةُ أَحْوَجَتْنَا إِلَيْهِ . فَخَجِلَ ٱلْغُلَامُ مِنْ سَيِّدِهِ وَسَكَتَ . ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلْحَرِيرِيُّ مَعَ ٱلْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى يُكَمِّلَهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ ٱفْتَتَحَنِي بِقِرْدٍ فَخَشِيتُ أَنْ يُكَمِّلَنِي بِكَلْبٍ فَكَمَّلْتُهُ لَهُ

(للنواجي)

فهرسة

الجزء الأول

من امثال لقمان الحكيم

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

صفحة

حكاية ملاك الموت

نخب

مما كتبهُ بعض العلماء في الجود والكرم والمكافاة وغير ذلك

